سلسلة المعارف الإسلاميّة

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

في آداب الأخلاق

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

مركز نون
للتأليف والترجمة

في رحاب الأخلاق

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

اسـم الكتـاب: في رحاب الأخلاق
إعـداد: مـركـز نـون للـتـأليـف والـتـرجـمـة
نـشـر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
تاريـخ الطبـع: ٢٠١٣ م - ١٤٣٤هـ

بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

سلسلة المعارف الإسلاميّة

في رحاب الأخلاق

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة ١١

الدرس الأوّل: أهميّة علم الأخلاق ١٣

تمهيد ١٥

الأخلاق ومصير الإنسان ١٦

ما هو علم الأخلاق؟ ١٧

قوى النفس الإنسانيّة ١٧

التوازن في قوى النفس ١٨

الدرس الثاني: أقسام النفس في القرآن ٢٣

أهميّة معرفة النفس ٢٥

ما هي النفس؟ ٢٦

إصلاح النفس ٢٩

مرتبة الحبّ لله تعالى ٣١

الدرس الثالث: ميزان التزكية ٣٧

تمهيد ٣٩

المنابع الأصيلة ٤٠

ما ينبغي الحذر منه ٤٣

الدرس الرابع: برنامج التزكية ٤٩

تمهيد ٥١

ما هو العقل؟ ٥٢

دور العقل ٥٣

الجهاد الأكبر ٥٤

نموذج عن معركة ٥٥

تقييم لنتائج المعركة ٥٦

الدرس الخامس: أسس تهذيب النفس ٦١

تمهيد ٦٣

المشارطة ٦٤

المراقبة ٦٥

المحاسبة ٦٦

المعاتبة والمعاقبة ٦٧

العقوبة على قدر المخالفة ٦٧

العقاب ضمن الموازين الشرعيّة ٦٨

الدرس السادس: الزهد والرغبة ٧٣

فضل الزهد ٧٥

ما هو الزهد؟ ٧٥

كيف يُكتسب الزهد؟ ٧٦

الحرص والرغبة في الدنيا ٧٨

الدرس السابع: آثار الذنوب الدنيويّة ٨٣
تمهيد ٨٥
أ - الآثار الدنيويّة ٨٦

الدرس الثامن: آثار الذنوب البرزخيّة والأخرويّة ٩٥
ب - الآثار البرزخيّة ٩٧
ما هو البرزخ؟ ٩٧
لمَ القيامة؟ ١٠٠
ج - الآثار الأخرويّة ١٠١
المحكمة الإلهيّة وشهود الآخرة ١٠٤

الدرس التاسع: تهذيب اللسان (الغِيبة) ١٠٩
مقامات النفس الإنسانيّة ١١١
أدب الجوارح ١١٣
اللسان طريق إلى الله ١١٣
الميزان في التحكّم باللسان ١١٥
الغيبة ١١٦

الدرس العاشر: تهذيب اللسان (النميمة - الكذب - الفحش) ١٢١
النميمة وآثارها ١٢٣
آثار النميمة الدنيويّة والأخرويّة ١٢٥
عبدٌ نمّام ١٢٦
نزّه لسانك عن الكذب ١٢٦
الاستخفاف بالكذب ١٢٧

آثار الكذب ١٢٧
نزّه لسانك عن الفحش من القول ١٢٨

الدرس الحادي عشر: تهذيب العين (النظر الحرام) ١٣٣

ارتباط العين بالقلب ١٣٥
النظر المحرَّم ١٣٦
عواقب النظر المحرّم ١٣٦
آثار غضّ البصر ١٣٧
كيف تعالج آفة النظر؟ ١٣٨

الدرس الثاني عشر: تهذيب السمع ١٤٣

حقّ السمع ١٤٥
نزّه سمعك عن الغناء ١٤٦
أثر الغناء في القلب ١٤٧
خلاصة الكلام ١٤٩

الدرس الثالث عشر: تهذيب البطن ١٥٣

نزّه بطنك عن الحرام ١٥٥
الخمر ١٥٦
الربا ١٥٧
المال الحرام ١٥٧
القمار ١٥٨
من مفاسد القمار ١٥٩

الدرس الرابع عشر: تهذيب اليد ١٦٥
تمهيد ١٦٧
عن ماذا ننزّه اليد؟ ١٦٨
اليد طريق للآخرة ١٦٩

الدرس الخامس عشر: تهذيب القدم ١٧٥
تمهيد ١٧٧
القدم والمعاصي ١٧٧
القدم والطاعات ١٧٨

الدرس السادس عشر: الحُضور في مواضع التهم ١٨٥
تمهيد ١٨٧
مواضع التهمة ١٨٩
الخلوة بالأجنبيّة ١٩١

الدرس السابع عشر: تهذيب الشهوة ١٩٥
كبت الشهوة ١٩٧
تحرير الشهوة ١٩٨
الحلّ الوسط ١٩٨
ما وراء الزواج ٩٩١
العلاج ٢٠١

الدرس الثامن عشر: دواء القلوب ٢٠٧
تمهيد ٢٠٩
كيف نعالج أمراضنا الأخلاقيّة؟ ٢١٠
علاج آخر للذنوب..... ٢١٠
جلاء القلوب..... ٢١٥

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وأعزّ المرسلين أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

قال تعالى في كتابه المجيد واصفاً النبيّ الأعظم ﷺ في مدحة ما كانت ولن تكون لأحد غيره ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ثمّ أمرنا سبحانه وتعالى بطاعته والاقتداء به والأخذ من سيرته والتحلّي بفضائله ومحاسن أخلاقه فقال عزَّ من قائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

رسول الله ﷺ الّذي يقول: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**». هذه المكارم الّتي لا بدّ للمؤمن أن يتحلّى بها، وأن تتجلّى في صفاته الشخصيّة ومعاملاته مع الناس. هذه الأخلاق الّتي تمهّد للفلاح والنجاة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وانطلاقاً من هذا كلّه، فلقد دأب مركز نون للتأليف والترجمة في جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة على وضع متون تربويّة تركّز على توعية وتوجيه المؤمنين والمؤمنات لما فيه صلاحهم وفلاحهم بعون الله سبحانه، ومن ضمن هذه المتون كتاب «**في رحاب الأخلاق**» ضمن سلسلة المعارف الإسلاميّة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العافية وأن يتقبّل أعمالنا وأن يحشرنا مع محمّد وآل محمّد عليهم السلام.

مركز نون للتأليف والترجمة

الدرس الأوّل

أهميّة علم الأخلاق

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب أهميّة علم الأخلاق.
- أن يتعرّف إلى ماهيّة علم الأخلاق.
- أن يعدّد القوى النفسيّة المؤثّرة في الإنسان.

تمهيد

عندما يتأمّل الإنسان في مجرى أغلب الناس في أمور حياتهم يجد أنّ أغلبهم منهمك في تأمين قوت الأجساد من طعام وشراب، وما يطلبه الجسد من رغبات أخرى، غافلين عن كلّ ما من شأنه أن يغذّي أرواحهم ويقوّي نفوسهم، وقد يؤول الأمر بالبعض إلى أن يُخرج همّ غذاء روحه من فكره نهائيّاً، وحتّى لو أنّ دينه وخُلُقه قد تعرَّضا لهزّات عنيفة لكنّه لا يشعر بها، فينطبق عليه الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أبنيَّ إنَّ - من الرجال بهيمةً ... في صورة الرجُل السميع المبصرِ
فطنٌ لكلِّ رزيّةٍ في مالِه ... وإذا أصيبَ بدينِه لمْ يشعر

نعم، فهذا الصنف من الناس لن يلتفت إلّا إلى دنياه وما أصابها؛ لأنّ الدنيا أمست أكبر همّه، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه، جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم الله له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره**»[1].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣١٩.

ومن هنا فلا بدّ من أن يتنبّه الإنسان إلى همّ الآخرة، ولا يكون ذلك إلّا بالتصميم على تهذيب النفس؛ لأنّ تهذيبها هو الّذي يحقّق الهدف الأسمى لخلق الإنسان وبعثة الأنبياء «**إنّما بُعِثْتُ لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1].

وإنّ أفضل طريقة لبيان أهميّة علم الأخلاق ومعرفتها، الرجوع إلى الآيات القرآنيّة والروايات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام.

الأخلاق ومصير الإنسان

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2] ويُستفاد من الآيات الشريفة أهميّة الأخلاق، حيث ورد الحديث عنها كجواب للأقسام الّتي أقسم الله تعالى فأتى قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ جواباً للقسم.

ويشير قوله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[3] إلى الحجّة الباطنيّة على الإنسان، فإنّ لله تعالى حجّتين على عباده؛ الأولى حجّة ظاهرية وهي الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والعلماء والصالحون، والثانية باطنيّة وهي العقل، فإنّ الإنسان بفطرته يُدرك الحسن والقبيح من الأمور. رُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هشام، إنّ لله حجّتين، حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأمّا الباطنة فالعقول**»[4].

وقد أكّدت الكثير من الروايات عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام على

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١، ص١٨٧.
(٢) سورة الشمس، الآيات:٧-١٠.
(٣) سورة الشمس، الآية:٨.
(٤) الكافي، ج١، ص١٦.

أهميّـة حُسْن الخُلُق فعـن رسول الله ﷺ: «**إنّ أحبّكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون**»[١].

وعنـه ﷺ: «**إنّ العبـد ليبلـغ بحسـن خلقـه عظيم درجـات الآخـرة وشرف المنازل وإنّه لضعيف العبادة**»[٢].

وعنـه ﷺ قـال: «**إنّ أثقل مـا يوضع في ميـزان المؤمن يـوم القيامة خُلُقٌ حسن**»[٣].

ما هو علم الأخلاق؟

الأخـلاق هي مجموعة الصفات النفسيّة والباطنيّة الّتي يتّصف بها الإنسان، كالتواضع والشجاعة... ويُطلق كذلك على الأعمال الّتي تُعتبر آثاراً لهذه الصفات كالتصـدّق على الفقيـر ومساعدة المحتاج، والصدق وفعـل الكرم...، ومن هنا يمكن تقسيم الأخلاق إلى قسمين أساسَيْن هما: صفات نفسيّة وأعمال.

وسيكـون كلامنا فـي البداية في جانـب الصفات النفسيّة، ثـمّ بعد ذلك في جانب الأعمال.

قوى النفس الإنسانيّة

إنّ المحـور الأساس لصفات الإنسان النفسيّـة يكمن في قوى أربع تعود إليها جميع الملكات والتوجّهات النفسيّة، وهذه القوى الأربع هي:

١- القـوّة العقليّـة: هذه القوّة من شأنهـا أن تُدرك الحسن من القبيح وتميّز الخير من الشر، ثمّ تأمر بفعل الحسن منها وترك القبيح.

٢- القـوّة الغضبيّـة: وهي الّتي يدفع بها الإنسـان الشرور والمخاطر والأذى

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج١، ص ١٠٠.
(٢) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج١، ص٧٩٩.
(٣) موارد الظمآن، الهيثمي، ص ٤٧٤.

عـن نفسه، وبأيّ صورة مشروعة أو غيـر مشروعة؛ لأنّ هذه القوّة نفسَها لا تميّز بين الحسن والقبيح.

٣- القـوّة الشهويّـة: وهي القوّة الّتي يطلب بهـا الإنسان المنفعة لنفسه، من قبيـل المـأكل والمشرب والشهـوة، من دون أن تلاحـظ هذه القـوّة فيما تطلبه الحـلال من الحرام أم الطاهر من النجس أو الحسن من القبيح؛ لأنّ ذلك ليس من شأنها، بل كلّ ما تراه هو الرغبة الجامحة لهذه الأمور.

٤- القـوّة الوهميّـة: ووظيفـة هـذه القوّة أن تتابـع التفاصيـل الصغيرة من الأمـور لتحلّلها وتستخرج منها الحيل لكي تتوصّل بهـا إلى تحقيق رغبات القوى الثلاث المتقدّمة، وعلى هذا فلو سُخّرت في خدمة القوّة العقليّة لبرع الإنسان في مجالات العلوم والاختراعات المفيدة، ولو سخّرها في خدمة القوّة البهيميّة لبرع في نصب المكائد لتلبية شهواته، ولو سخّرها في خدمة القوّة الغضبيّة، لبرع في العدوان والطمع والجشع.

وبنـاء علـى هذا التفصيل فإنّ النفـس إذا تبعت القوّة الشهويّـة سُمّيت نفساً «**بهيميّـة**» لأنّ البهيمة لا يهمّها سوى علفهـا وملذّاتها، وإذا تبعت القوّة الغضبيّة سمّيـت «**سبعيّة**» لأنّ فيها طبع السبـاع الضارية، وإذا تبعت القوّة العقليّة سمّيت «**ملكيّة إلهيّة**».

التوازن في قوى النفس

إنّ قوى النفس الّتي سبق الحديث عنها لها حدان مترامیان؛ الأوّل حدّ الإفراط والثاني حدّ التفريط. ولا بدّ لسالك درب الأخلاق من أن يلتزم الوسط والاعتدال في القوّة الشهويّة بأن يكون الإنسان عفيفاً عقلاً وشرعاً، لا حدّ الإفراط بأن تكون الشهوة شديدة لا ترى أمامها رادعاً في الوصول إلى مآربها، ولا حدّ التفريط في خمودها بحيث تبطل الفائدة منها، فإنّ فائدة شهوة البطن أن يقيم بها الإنسان

أودَه ويستمـرّ في الحياة، والشهوة الجنسيّة لبقاء النسل، فلو كانتا خامدتين لما عُمِّر العالم وانتفت مظاهر الحياة فيه، ولو كانتا متفجّرتين كبركان يجتاح أمامه كلّ ما يمرّ به لذابت الأرض بجرائم أهلها وفسادهم.

وحـدّ الاعتدال فـي الغضبيّة أن يكون المرء شجاعـاً لا يخاف، وحدّ الإفراط فـي التهوّر والإقدام على المـكاره بدون دراسة ونظر، وحـدّ التفريط في الجبن والاستسلام والخنوع.

ومـن هنا فعلـى الإنسان السالك إلـى الله تعالى بتهذيب نفسـه أن لا يدع أيّاً مـن قـواه يميل به عن الجادّة الوسط إلى حدّي الإفـراط والتفريط؛ لأنّ كلّاً من هـذه القوى تسعـى لتحقيق رغباتها بغضّ النظر عـن مصالح الأخرى، ومن هنا كانـت النفس الإنسانيّة ساحةً لأكبر المعـارك، وأكبرُ الجهاد أن يجاهد الإنسان هذه القـوى الّتي تتصارع يميناً وشمالاً لتخرج من حـدّ الوسطيّة والفضيلة، إلى الانحـراف والرذيلة، ولذلـك ورد في الحديث عن الرسـول الأكرم ﷺ أنّه قال لقـوم رجعوا من ساحة المعركـة: «**مرحباً بقوم قضـوا الجهـاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر**»[1].

خـلاصـــة الـدرس

- قوى النفس الإنسانيّة هي:

١- العقليّة.

٢- الغضبيّة.

٣- الشهويّة.

(١) الكافي، الكليني، ج٥، ص١٢.

٤- الوهميّة.

- إنّ النفس إذا تبعت القوّة الشهويّة سمّيت نفساً «**بهيميّة**»؛ لأنّ البهيمة لا يهمّها سوى علفها وملذّاتها، وإذا تبعت القوّة الغضبيّة سمّيت «**سبعيّة**» لأنّ فيها طبع السباع الضارية، وإذا تبعت القوّة العقليّة سمّيت «**ملكيّة إلهيّة**».
- إنّ قوى النفس الّتي سبق الحديث عنها لها حدّان مترامیان الأوّل حدّ الإفراط والثاني حدّ التفريط، ولا بدّ لسالك درب الأخلاق وتهذيب النفس من أن يسلك بين هذين الحدّين، أي في الوسط، ولأنّ كلّاً من هذه القوى تسعى لتحقيق رغباتها بغضّ النظر عن مصالح الأخرى كانت النفس الإنسانيّة ساحة لأكبر المعارك، وكان الجهاد فيها هو الجهاد الأكبر.

أسئلة

١- ما هو موقع الأخلاق الإنسانيّة في رسالات الأنبياء؟

٢- ما المراد من علم الأخلاق؟

٣- ما هي القوى النفسيّة؟

٤- كيف تتصارع القوى داخل النفس؟

٥- لماذا سمّي جهاد النفس بالجهاد الأكبر؟

العبادة الحقّة

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «**الأربعون حديثاً**»:

حينما تقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] فهل تراك تعبد الله أم تعبد بطنك وفرجك؟ هل أنت تطلب الله أو الحور العين؟ هل تطلب العون من الله فقط؟

إنّ الشيء الّذي لا يؤخذ بعين الاعتبار في الأعمال هو الله، وأنت إذا ذهبت إلى زيارة بيت الله، فهل إنّ مقصدك ومقصودك هو الله، وإنّ مطلبك ومطلوبك هو صاحب البيت؟ وهل قلبك مترنّم بقول الشاعر:

وما حُبُّ الديار شغفنَ قَلبي ولكنّ حُبُّ من سكنَ الديارا

أباحثٌ أنت عن الله؟ أتطلب آثار جمال الله وجلاله؟ ألأجل سيّد المظلومين تقيم العزاء؟ ألأجله عليه السلام تلطم رأسَك وصدرك، أم لأجل الوصول إلى آمالك وأمانيك؟ أهي بطنك الّتي تدفعك لإقامة مجالس العزاء، وشهوة الظهور هي الّتي تدفعك للذهاب إلى صلاة الجماعة، وهوى النفس هو الّذي يجرّك للمناسك والعبادة؟.

فيا أيّها الأخ، كن حذراً تجاه مكائد النفس والشيطان، واعلم أنّه لن يدعك -أيّها المسكين- تؤدّي عملاً واحداً بإخلاص، وحتّى هذه الأعمال غير الخالصة الّتي تقبّلها الله تعالى منك بفضله، لا يدعك الشيطان أن تصل بها إلى الهدف فتعمل عملاً تحبط به أعمالك كلّها، وتخسر حتّى هذا النفع بسبب هذا العجب والتدلّل في غير موقعه. وبغضّ النظر عن بُعد الوصول إلى الله ورضاه، فإنّك لن تصل إلى الجنّة ولا إلى الحور العين، بل تخلد في العذاب وتُعذَّب بنار الغضب كذلك.

(١) سورة الفاتحة، الآية:٥.

أنــت تظنّ أنّك بهذه الأعمــال المتفسّخة المتعفّنة الهزيلــة الممزوجة بالرياء وطلب السمعة وألف مصيبة أخرى الّتي تحول دون قبول العبادات كلّها، تظنّ أنّك بها تستحقّ الأجر من الحقّ تعالى، أو أنّك أصبحت بها من المحبّين والمحبوبين. أيّهــا المسكين الجاهل! يا سيّئ الحظّ الّذي لــم يطّلع على قلوب المحبّين، وعلى لهب شوقها تجاه الحقّ سبحانه، أيّها المسكين الغافل عن حرقة المخلصين ونور أعمالهــم! أوَ تظــنّ أنّ أعمالهم أيضــاً مثل أعمالي وأعمالــك؟ أوَ تتوهّم أنّ ميزة صــلاة أمير المؤمنين عليه السلام عن صلاتنا أنّــه عليه السلام كان يمدّ «**الضالّين**» أكثر، أو أنّ قراءتــه أصــحّ، أو أنّ سجوده أطــول وأذكاره وأوراده أكثر؟ أو أنّ ميزة ذلك الرجل العظيم في أنّه كان يصلّي عدّة مئات من الركعات ليليّاً؟ أوَ تظنّ أنّ مناجاة سيّــد الساجدين عليّ بن الحسين هي مثل مناجاتي ومناجاتك؟ وأنّه كان يتحرّق ويتضرّع بتلك الصورة من أجل الحور العين والكمثرى والرمّان من نعَم الجنّة؟.

أقســم به صلوات الله وسلامة عليــه ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[1] لو أنّ المحبّيــن كان بعضهم ظهيراً للبعض الآخر، وأرادوا أن يتفوّهوا بكلمة (لا إله إلّا الله) مــرّة واحدة بمثل ما كان يقولها أمير المؤمنين عليه السلام لما استطاعوا. فكم أكــون تعيســاً وشقيّاً أن لا أكــون على خطى عليّ عليه السلام وأنا مــن العارفين لمقام ولاية عليّ؟

أقسم بمقام عليّ بن أبي طالب، لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين – عــدا الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الّذي يكون مولى عليّ وغيره – أرادوا أن يكبّروا مرّة واحــدة، تكبيراً على غرار مــا كان يكبّر عليّ، لما استطاعــوا. وأمّا الوقوف على قلوبهم فلا يعرف أحد شيئاً إلّا حملة تلك القلوب وأصحابها!. فيا أيّها العزيز! لا تتباهَ بقربك من الله...

(١) سورة الواقعة، الآية:٧٦.

الدرس الثاني

أقسام النفس في القرآن

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب أهميّة معرفة النفس.
- أن يتعرّف إلى أقسامها.
- أن يدرك أهميّة إصلاح نفسه.

أهميّة معرفة النفس

إنّ الحديث عن نفس الإنسان حديث له عدّة جوانب فمن جهة لابدّ من الحديث عن خصائص هذه النفس، ومن أخرى يمكن الحديث عن قواها الّتي أودعها اللّه تعالى فيها، وكذا عن سبل إصلاحها. وسنتحدّث عن هذه النقاط الثلاث بشيء من التفصيل إذ إنّ معرفة هذه النقاط الثلاث أمر أساس في علم الأخلاق، ففي الحديث الشريف عن الإمام عليّ عليه السلام: «**من عرف نفسه عرف ربّه**»[1].

وفي الحديث عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في كلام له: «**ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال**»[2]، إذ يوضح هذا الحديث أنّ الحجاب الرئيس بين الإنسان واللّه تعالى هو نفس الإنسان فما دام الإنسان يرى نفسه متصرّفاً وينسب إلى نفسه كلّ أمر يقوم به، وما دامت نفس الإنسان هي مدار الرحى الّتي يبني عليها معتقداته وتصرّفاته، فإنّ هذه النفس ستكون الحجاب الأكبر الّذي لا يسهل اختراقه.

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٢، ص١٨٧٧.
(٢) م. ن، ج٢، ص١٨٨٠.

ولـذا كانـت النفس وإصلاحها مـن أهمّ الأمور في علم الأخـلاق، بل إنّ علم الأخلاق هو تهذيـب النفس بالدرجة الأولى للوصول بها إلى الكمال المرجوّ لها، ولا أدلّ علـى ذلـك من حديث الرسـول الأكرم ﷺ حين دخل عليـه رجل اسمه مجاشـع، فقال: «**يـا رسول الله! كيـف الطريق إلـى معرفة الحـقّ؟ فقال ﷺ: معرفـة النفسـ، فقال: يا رسـول الله! فكيف الطريق إلـى موافقة الحقّ؟ قال ﷺ: مخالفـة النفسـ، فقـال: يا رسـول الله! فكيف الطريق إلـى رضا الحقّ؟ قال ﷺ: سخط النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى وصل الحقّ؟ قال ﷺ: هجر النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى طاعة الحقّ؟ قال ﷺ: عصيان النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى ذكر الحقّ؟ قال ﷺ: نسيان النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى قرب الحقّ؟ قـال ﷺ: التباعـد من النفسـ، فقال: يا رسول الله! فكيـف الطريق إلى أنس الحقّ؟ قال ﷺ: الوحشة من النفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطريق إلى ذلك؟ قال ﷺ: الاستعانة بالحقّ على النفس**»[1].

ومـن المناسب أن نذكر ههنا سـؤالاً استنكاريّاً سألـه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «**كيف يعرف غيره من يجهل نفسه؟**»[2].

ما هي النفس؟

تتميّـز النفس الّتي أكرم الله تعالى بهـا الإنسان من غيره من المخلوقات بأنّهـا جمعت العقل مضافـاً إلى الغريـزة والشهوة، خلافـاً للحيوانات الّتي وضـع الله فيها الغريزة والشهـوة فقط، أو الملائكة الّتـي أكرمها الله بعقل بـدون غريـزة وشهوة ومن هنا فـإنّ الإنسان لا بدّ له مـن أن يستخدم العقل

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص١٨٧٧.
(٢) م. ن، ج٣، ص ١٨٨١.

في تعديل المتطلّبات الّتي تمليها الشهوة والغريزة حتّى يسلك حدّ الاعتدال الّذي أشرنا له فيما سبق، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[١].

وعندما نطالع الآيات القرآنيّة الّتي تحدّثت عن النفس نراها قد تحدّثت عن ثلاث حالات من حالات النفس، كما أنّها وصفتها بصفات مختلفة منها:

النفس الأمّارة

يقول الله تعالى في محكم بيانه ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، فالنفس الأمّارة بالسوء هي الّتي تتبع هواها بحيث لا ترى أمامها سوى ما تتمنّى الحصول عليه من الشهوات بدون أي التفات إلى الشريعة أو المفاسد الدنيويّة والأخرويّة، ولذا فإنّ اتّباع النفس الأمّارة بالسوء يجلب الظلم والضلال، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

النفس اللّوّامة

يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٤].

والمراد بالنفس اللوّامة، نفس الإنسان المؤمن الّتي تلومه في الدنيا على المعصية، والتثاقل في أداء الطاعات[٥].

(١) سورة الشمس، الآيتان:٧-٨.
(٢) سورة يوسف، الآية:٥٣.
(٣) سورة القصص، الآية:٥٠.
(٤) سورة القيامة، الآيتان:١-٢.
(٥) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطبطبائي، ج٢٠، ص١٠٣.

وقـد يُطلق علماء النفس عليها اسم الضمير الّذي يؤنب الإنسان على ما فعله من القبائح.

النفس المطمئنّة

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[1].

والنفس المطمئنّة، كما وصفها العلّامة الطباطبائي في تفسيره: «**هي الّتي تسكن إلى ربّها وترضى بما رضي به فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو وشرّ أو نفع أو ضرّ ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أيّ نفع وضرّ ابتلاءً وامتحاناً إلهيّاً، فلا يدعوه تواتر النِّعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلوّ والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقَرٍّ من العبوديّة لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط...**

وتوصيفها بالراضية لأنّ اطمئنانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدَّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربّه رضي الربّ منه، إذ لا يسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زيِّ العبودية، فإذا لزم طريق العبوديّة استوجب ذلك رضا ربّه ولذا عقب قوله ﴿رَاضِيَةً﴾ بقوله: ﴿مَّرْضِيَّةً﴾»[2].

الحذر من النفس الأمّارة

بعد أن عرفنا النفس الأمّارة بالسوء وميزتها لا بدّ من مواجهتها وعدم الركون

(١) سورة الفجر، الآيات:٢٧-٣٠.

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج٢٠، ص٢٨٥.

إليهـا، إذ إنّ لبّ علم الأخلاق قهر النفس الأمّارة وكبح جماحها؛ لأنّها كما تقدّم لا تـرى إلّا ما تريـد وتشتهي، ولو خلّفـت كلّ شيء خراباً من خلفهـا، فإذا كانت النفس الأمّارة خطيرة إلى هذه الدرجة فلا بدّ من أن نجد لها علاجاً لإصلاحها وتليين طبعها الشرس، فما هي الطرق الممكنة لإنجاز هذه المهمّة؟

إصلاح النفس

إنّ المسالـك والطـرق إلى الله كثيرة، بل هي بعدد أنفاس الخلائق، إلّا أنّها كلّها تبدأ من خلال تهذيب النفس وإصلاحها.

فينبغـي بالدرجـة الأولى لمن يريد إصـلاح نفسه أن يرغِّـب نفسه بالأعمال الصالحـة، ويكـون ذلـك من خـلال التفكّر فـي الأعمـال وما تستتبـع من رضا أوسخـط للمولـى العزيز، وما يترتّـب عليها من آثار في الآخـرة، فتطمع النفس بثواب الآخرة، وتخاف من عقاب الأعمال القبيحة.

وبمـا أنّ كثيـراً من الناس يميلون إلـى الربح السريع ويفضّلـون الربح القريب ولـو كان قليلاً وتافهاً على الربح البعيد ولـو كان كبيراً وعظيماً - وهذه حقيقة في الإنسـان قد ذكرهـا الله تعالى في كتابه حيـث يقول جلّ شأنـه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾[1]، ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾[2] - فالإنسـان يستعجل ما يتصوّره ربحاً في الدنيا ويترك فوز الآخرة، وهذا ما يسبّب للناس الشقاء، وهنا يتّضـح دور العقل في السيطرة على الأهواء النفسيّة السيّئة، فـلا بدّ من التنبيه الدائم للنفس على الـدوام، لما وعد به الله تعالى أهل طاعته، وحذّر منه أهل معصيته؛ لأنّ مجرّد عدم الالتفات إلى الجانب الأخرويّ من الأعمال والاستغـراق في أمور الدنيا وتفاصيلهـا، يُدخل الإنسان في نفق الغفلة المظلم ولا

(١) سورة القيامة، الآيتان:٢٠-٢١.

(٢) سورة الإسراء، الآية:١١.

يستيقظ منه إلّا بعد الموت في الكثير من الأحيان، ولعلّ هذا هو المراد من قول الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[1].

وأمّا كيفيّة التفكّر في أمر الدنيا وزوالها فهو كما يُروى أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال لصاحبه جابر في حديث طويل: «**... يا جابر: إنّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار، والدنيا دار فناء وزوال، ولكنّ أهل الدنيا أهل غفلة، وكأنّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة لم يصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم. واعلم يا جابر أنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة تذكر فيعينونك، وإن نسيت ذكّروك، قوّالون بأمر الله، قوّامون على أمر الله. قطعوا محبّتهم بمحبّة ربّهم، ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم، ونظروا إلى الله تعالى وإلى محبّته بقلوبهم، وعلموا أنّ ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه، فأنزل الدنيا كمنزل نزلتَه ثمّ ارتحلتَ عنه، أو كمال وجدتَه في منامك واستيقظتَ، وليس معك منه شيء**»[2].

إذاً فإصلاح النفس يبدأ من التذكّر والخروج من نوم الغفلة عن الآخرة بالدرجة الأولى، ولهذا الأسلوب في إصلاح النفس ميّزتان:

أ- إنّه يصلح ظاهر العمل وباطنه إذ إنّ المراد هو الله تعالى، والمحاسب والمجازي هو الله تعالى أيضاً.

ب- إنّه جزاء دائم لأنَّ ما عند الله خير وأبقى، والقرآن الكريم اعتبر هذا المسلك مسلكاً جيّداً وندب إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

(١) شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، ج٨، ص٣٧٩.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٠، ص٣٦.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين: «**إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها**»[2].

مرتبة الحبّ لله تعالى

إنّ علاج النفس تارة يكون بإيجاد المانع فيها من فعل الذنوب كأن يخوّف الإنسان نفسه بالنار وغضب الجبّار، ففي هذه الحالة يكون الدافع إلى الذنب موجوداً في النفس إلّا أنّه هنالك مانع من الوقوع فيه وهو ما ذكرناه من الخوف وغيره من الموانع، وتارة يكون علاجها بإلغاء الدافع أساساً بحيث لا تطلب النفس الذنب إذ لا رغبة لها فيه، والطريقة الأولى هي من خصائص المسالك الأخرى لا مسلك الحبّ الإلهيّ، أمّا الطريقة الثانية – وهي قلع الدوافع من النفس– فهي من مختصّات مسلك الحبّ الإلهيّ، ولهذا المسلك والطريق ركنان أساسان:

الأوّل: ركن المعرفة والعلم بأن يصل الإنسان من خلال علمه إلى مرحلة يدرك فيها معنى التوحيد بكلّ أبعاده، ومن خلال هذه المعرفة بالتوحيد لا يبقى أي موضوع لهذه الرذائل، ولن يتوجّه بعد ذلك إلى الناس، ولا يطمع بما في أيديهم؛ لأنّه يعرف حقّ المعرفة أنّ الغنيّ منهم لا يملك ولا يُعطي ولا يمنع إلّا بإذن الله تعالى، فلا يرجو منه. ولا القويّ منهم خارج عن قوّة الله، فلا يخاف منه. وغيرها من المعاني.

(١) سورة التوبة، الآية:١١١.

(٢) نهج البلاغة، ج٤ ، ص١٠٥.

ولقد كان الإمام الخمينيّ قدس سره من المصاديق البارزة في هذا المضمار من الإيمان إذ لم يخف طواغيت العالم بل خاف مالك الملوك وجبّار الجبابرة فأخاف الله تعالى منه طواغيت الأرض.

الثاني: ركن العمل إذ مجرّد العلم لا يكفي في هذا المجال، فبعد أن يتعلّم الإنسان التوحيد يجب أن يكون توحيده عمليّاً لا نظريّاً فحسب، والطريق إلى التوحيد العمليّ حبّ الله تعالى، فإنّ الإنسان إذا أحبّ شيئاً أطاعه وعبده، بل إنّ من آثار الحبّ الطاعة والتسليم.

وخلاصة الأمر أنّ على الإنسان أن يجعل قلبه متعلّقاً بالله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1] إذ لا يجتمع حبّ الله تعالى وحبّ الدنيا في قلب واحد، وإذا حصلت المحبّة في قلب الإنسان لله أخذ إيمانه في الاشتداد والازدياد وانجذبت نفسه إلى التفكير في ناحية ربّه، واستحضار أسمائه الحسنى، وصفاته الجميلة المنزّهة عن النقص والشَّين ولا تزال نفسُه تزيد انجذاباً، وتترقّى مراتبه حتّى صار يعبد الله كأنّه يراه...

فيأخذ الحبّ في الاشتداد؛ لأنّ الإنسان مفطور على حبّ الجميل، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وصار يتّبع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جميع حركاته وسكناته؛ لأنّ حبّ الشيء يوجب حبّ آثاره، والرسول من آثاره وآياته كما أنّ العالم أيضاً آثاره وآياته تعالى، ولا يزال هذا الحبّ يشتدُّ ثمّ يشتدُّ حتّى ينقطع إليه من كلّ شيء، ولا يحبّ إلّا ربّه، ولا يخضع قلبه إلّا لوجهه، فإنّ هذا العبد لا يعثُرُ بشيء، ولا يقف على شيء وعنده شيء من الجمال والحسن إلّا وجدَ أنّ ما عنده أنموذج يحكي ما عند الله من كمال لا ينفد، وجمال لا يتناهى، وحسن لا يُحدّ، فله الحسن والجمال والكمال والبهاء، فيستولي سلطان الحبّ على قلبه[3].

(١) سورة الأحزاب، الآية:٤.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٦٥.

(٣) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج١، ص٣٧٣ وما بعدها (ملخّصاً).

خلاصة الدرس

- هناك ثلاث حالات للنفس وردت في القرآن الكريم وهي:

١- النفس اللوّامة.

٢- النفس الأمّارة بالسوء.

٣- النفس المطمئنّة.

- فصّلت الروايات الشريفة ما أجمله القرآن الكريم من أحوال النفس الإنسانيّة فتحدثت بشكل مفصّل عن حالاتها.

- إنّ المسالك والطرق إلى الله كثيرة بعدد أنفاس الخلائق إلّا أنّها كلّها تبدأ من خلال تهذيب النفس وإصلاحها، ومن هذه الطرق:

١- إصلاح النفس بالغايات الأخرويّة وهذا المسلك هو مسلك أغلب الناس، فبعضهم يغلب على نفسه الخوف وكلّما فكّر فيما أوعد الله الظالمين والّذين ارتكبوا المعاصي والذنوب من أنواع العذاب الّذي أعدّ لهم زاد في نفسه خوفاً، وبعضهم يغلب على نفسه الرجاء وكلّما فكّر فيما وعده الله الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من النعمة والكرامة وحسن العاقبة زاد رجاءً وبالغ في التقوى والتزام الأعمال الصالحات طمعاً في المغفرة والجنّة.

٢- إصلاح النفس بالحبّ الإلهيّ، وهو مرتكز على أمرين: ركن العلم والمعرفة، وركن العمل.

أسئلة

١- ما هي النفس الّتي ذُكرت في القرآن الكريم؟

٢- ما هي الطرق الفُضلى لإصلاح النفس؟

٣- تحدّث عن طريق إصلاح النفس بالغايات الأخرويَّة.

٤- ما معنى إصلاح النفس بالحبّ الإلهيّ؟

٥- علامَ يرتكز إصلاح النفس بالحبّ الإلهيّ؟

للمطالعة

حسن الخلق

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

أيّها العزيز؛ انهض من نومك، وتنبّه من غفلتك، واشدد حيازيم الهمّة، واغتنم الفرصة ما دام هناك مجال، وما دام في العمر بقيّة، وما دامت قواك تحت تصرّفك، وشبابك موجوداً، ولم تتغلّب عليك بعدُ الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصّل فيك الملكات الرذيلة، فابحث عن العلاج، أعثر على الدواء لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمّس سبيلاً لإطفاء نائرة الشهوة والغضب.... وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الأخلاقيّة، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كلّ واحدة من الملكات القبيحة الّتي تراها في نفسك، وتنهض بعزم على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة.

وعلى أيّ حال؛ أطلب التوفيق من الله تعالى لإعانتك في هذا الجهاد، ولا شكّ في أنّ هذا الخُلق القبيح، سيزول بعد فترة وجيزة، ويفرّ الشيطان وجنوده من

هذا الخندق، وتحلّ محلّهم الجنود الرحمانيّة.

فمثـلاً، مـن الأخلاق الذميمـة الّتي تسبّب هـلاك الإنسـان، وتوجب ضغطة القبـر، وتعذّب الإنسان في كلا الدارين، سوء الخُلُق مـع أهل الدار والجيران أو الزملاء فـي العمل أو أهل السوق والمحلّة، وهو وليد الغضب والشهوة، فإذا كان الإنسان المجاهد يفكّر في السموّ والترفع، عليه عندما يعترضه أمر غير مرغوب فيه حيث تتوهّج فيه نار الغضب لتحرق الباطن، وتدعوه إلى الفحش والسيّئ من القول، عليه أن يعمـل بخلاف النفس، وأن يتذكّر سوء عاقبة هذا الخُلُق القبيح، ويبدي بالمقابل مرونة، ويلعن الشيطان في الباطن ويستعيذ بالله منه.

إنّـي أتعهّد لك بأنّـك لو قمت بذلك السلوك، وكرّرته عدّة مـرّات، فإنّ الخُلُق السيّئ سيتغيّر كليّاً، وسيحلّ الخُلُق الحسن في عالمك الباطن، ولكنّك إذا عملت وفـق هوى النفس، فمـن الممكن أن يبيدك فـي هذا العالم نفسـه. وأعوذ بالله تعالـى من الغضب الّـذي يهلك الإنسان في آن واحد فـي كلا الدارين فقد يؤدّي ذلـك الغضـب – لا سمح الله – إلى قتل النفس. ومن الممكـن أن يتجرّأ الإنسان فـي حالة الغضب على النواميس الإلهيّة. كما رأينـا أنّ بعض الناس قد أصبحوا من جرّاء الغضب مرتدّين. وقد قال الحكماء: «**إنّ السفينة الّتي تتعرّض لأمواج البحـر العاتية وهي بدون قبطـان، لهي أقرب إلى النجاة من الإنسان وهو في حالة الغضب**».

أو إذا كنـت لا سمـح الله من أهل الجدل والمراء فـي المناقشات العلميّة كما عليه بعض طلاب العلوم الدينيّة نحن الطلبة، المبتلين بهذه السريرة القبيحة، فاعمل فترة بخلاف النفس، فإذا دخلت في نقاش مع أحد الأشخاص في مجلس مـا، ورأيت أنّه يقـول الحقّ فاعترف بخطئك وصدّق قـول المقابل، والمأمول أن تزول هذه الرذيلة في زمن قصير.

الدرس الثالث

ميزان التزكية

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب المنابع الأصيلة للهداية.
- أن يتعرّف إلى ما ينبغي الحذر منه.

تمهيد

يقـول تعالـى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1]، هـذه الآيـة الكريمـة على قصرها تؤكّـد حقيقة أنّ الحسنات لا تكـون إلّا بما علم الله تعالـى وأوحـى به لأنبيائه، وأنّ طريـق الهداية لا يمكن الاهتـداء بها لولا الوحي الّـذي رسـمَ الله تعالى من خلاله طريق الهداية للنـاس، فهم إن اتّبعوا ما أُنزِل إليهـم عبر الأنبياء اهتدوا، وأمّا إن تركوا مضمون هذا الوحي ليبحثوا عن طرق وصول خلف ذلك معتمدين على أنفسهم فلن يحصدوا إلّا الخيبة، ولن تكون لهم إلّا السيّئة.

على السالك إلى الله سبحانه وتعالى أن يحصر ما يودّ عمله بموارد لا يعتريها الشكّ، كما أنّ عليه الحذر من أمور أخرى، وحينها يكون قد نهل العلم من منابعه الأصيلـة الّتي لا يعتريها كدر ولا يشوبها باطـل، ولا بدّ من أن يكون هذا الالتزام بالموارد المحدّدة والحذر من الأمور الأخرى:

علـى صعيد العبـادات والأوراد فينبغي التنبّه للصحيح منهـا وما ثبت شرعاً ومـا لم يثبت وأن لا يقوم بكلّ عمل سمعـه من هنا أو هناك، بل عليه التحقّق من

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

حقيقته ومصدره ومنبعه فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام**»[1].

وسنذكر فيما يلي المنابع الأصيلة وما ينبغي الحذر منه في هذه الطريق الطويلة.

المنابع الأصيلة

١- القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب الهداية الّذي أنزله الله تعالى على رسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لكي يكون كتاب هداية للأمّة سواء من خلال التشريع الّذي تضّمنه، أو من خلال الإرشاد والوعظ الموجود فيه، فعن الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في صفة القرآن: «**جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء**»[2].

وفي وصيّة الإمام عليّ عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق... أن أبتدئك بتعليم كتاب الله عزَّ وجلَّ وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره**[3]»[4].

٢- الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

إلّا أنّه لسائل أن يسأل: كيف يمكن للإنسان أن يعرف مراد القرآن؟ ولا سيّما

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢١٠٨.
(٢) م. ن، ج٣، ص٢١٠٢.
(٣) إلى غير القرآن والإسلام.
(٤) نهج البلاغة، ج٣، ص٤١.

أنّ المفسّرين قد يختلفون في تفسيره، وأنّ كلّ الفئات والمذاهب والمسالك تدّعي تمسّكها بالقرآن الّذي يُعتبر الفرقان بين الحقّ والباطل، فكيف لنا أن نعلم مراد اللّه الحقيقيّ من خلال التفسير على اختلافه بين العلماء؟

ومن هنا لا بدّ من أن نرجع إلى الرسول الأكرم الّذي يُعتبر أولى الناس بشرح معاني القرآن ومراد اللّه تعالى منه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

٣- أهل البيت عليهم السلام:

وقد حدّد لنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم منهجاً واضحاً ومعياراً وميزاناً وأمرنا بالتمسّك به حينما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[2].

في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «**شرّقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت**»[3].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنّة ماضية، ولا أدري**»[4].

٤- العلماء:

ويمكن للسائل أن يسأل من جديد: إنّ ما وصل إلينا من الروايات فيه الصحيح وغيره، فمن أين للإنسان أن يميّز الغثّ من السمين، والصحيح من السقيم؟

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، (آل البيت)، ج٢٧، ص٣٤.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٩٢.
(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٣، ص٢١٠٣.

والجواب أنّه ليس على كلّ إنسان أن يميّز الصحيح من السقيم من هذا الكمّ الهائل من الأحاديث الّتي وردت إلينا، بل إنّ أهل البيت عليهم السلام، قد أرشدونا إلى الطريق لمعرفة ذلك، فعن الإمام العسكريّ عليه السلام: «**أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوامّ أن يقلّدوه**»[1].

فعلماؤنا رضوان الله تعالى عليهم قد بذلوا أعمارهم، وأضنَوْا عيونهم في دراسة ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من روايات ليحدّدوا الصحيح منها من السقيم، ويتلمّسوا المراد من صحيحها، وما عناه أهل البيت عليهم السلام من أسرار العلوم الإلهيّة الحقّة.

فالعلماء كما وصفهم الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[2].

وبعد هذا كلّه يتلخّص لدينا أنّ على السائر إلى الله تعالى أن يستقي العلم من القرآن المشروح بلسان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، فيما ورد وقال عنه العلماء بأنّه صحيح ممّا قالوه وشرحوه لنا من أسرار علومهم وما استنبطوه من الأحكام من خلال الأحاديث والآيات القرآنيّة المباركة، فإنّ من أعظم التوفيقات الإلهيّة أن يجد الإنسان المرشد من العلماء الّذين أطاعوا الله تعالى حقّ طاعته، فيكون بمثابة دليل له في هذا الطريق، يحذّره من قطّاعها

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج٨، ص٥٧٦.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٩٢.

ويعرّفه على تفاصيلها ويشدّ عزمه لو أحسّ منه الكسل أو الضجر، ويقوّمه لو رأى منه الزلل.

ما ينبغي الحذر منه

١ - ما يخالف الشريعة:

قد يتّجه بعض الناس إلى أساليب غير شرعيّة ظنّاً منهم أنّ ذلك سيوصلهم إلى تكامل وروحيّة معيّنة وقد يحصل لبعضهم بعض القوى الروحيّة كالعلم بالضمائر أو القدرة على المشي على النار فيعتبر ذلك كمالاً له، إلّا أنّ ذلك ليس إلّا لأجل الرياضات الّتي روّض نفسه عليها، وليس ذلك من اللّه بشيء، كما أنّ الحصول على هذه القوى ليس هدفاً للإنسان السالك إلى اللّه تعالى، بل قد تكون عائقاً في كثير من الأحيان أمام الاستمرار في السلوك لما يتبعها من العُجْب أو الاعتداد الزائد بالنفس، ومن تلك الأساليب غير الشرعيّة الّتي ينبغي الحذر منها:

أ- **إرهاق الجسد:** ويكون ذلك بتعذيبه أشدّ العذاب كالجرح بالآلات الحادّة أو التجويع الّذي يُشارف الإنسان فيه على الموت أو الهلاك وغيرها من الأمور الّتي تحرمها الشريعة من باب عدم جواز أذيّة النفس.

ب- **السقوط من أعين الناس:** وأصحاب هذه الفكرة السقيمة يقومون بارتكاب المحرّمات أمام الملأ ليسقطوا من أعين الناس؛ لأنّ سقوطهم من أعين الناس - بحسب زعمهم - يجعلهم نظيفي النفوس من حبّ الاشتهار الّذي يرجع إلى حبّ النفس، وهذا محرّم شرعاً بما فيه من تحقير للنفس الّتي كرّمها اللّه، ومن ارتكاب للمحرّمات الّتي تُسقط الإنسان من عين اللّه قبل أعين الناس.

ج- **العزلة عن المجتمع:** ويتصوّر أصحاب هذه النظريّة أنّ الابتعاد عن الناس يجعل قلب الإنسان صافياً وعبادته خالية من الرياء وغيره من الشوائب، ويكفي رداً عليهم ما جاء به الرسول الأكرم ﷺ من منع للرهبانيّة، بل ورد عنه ﷺ: «**لا رهبانيّة في الإسلام**»[1].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «**من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم**»[2].

بل إنّه ﷺ قد حارب هذه الممارسة منذ أيام الدعوة الأولى وطيلة حياته ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ ثلاث نسوة أتين رسول الله ﷺ فقالت إحداهنّ: إنّ زوجي لا يأكل اللحم، وقالت الأخرى: إنّ زوجي لا يشمّ الطيب، وقالت الأخرى: إنّ زوجي لا يقرب النساء، فخرج رسول الله ﷺ يجرّ رداءه، حتّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشمّون الطيب ولا يأتون النساء؟! أما إنّي آكل اللحم وأشمّ الطيب وآتي النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**»[3].

٢- الاختراع:

والاختراع هو أن يبتدع الإنسان من خلال عقله عبادة معينة لم ترد في الكتاب ولم ترد في السنّة المأثورة عن نبيّنا ﷺ وأهل بيته، وهذا الاختراع ممّا نهى عنه أهل البيت عليهم السلام، ففي الرواية عن عبد الرحيم القصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جُعلت فداك إنّي اخترعت دعاء قال: «**دعني من اختراعك إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله ﷺ وصلّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله ﷺ...**»[4].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١، ص٢٠٦.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج٦١، ص٣٣٧.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٤٩٦.
(٤) الكافي، ج٣، ص٤٧٦.

٣- الهوى:

وهو ما تمنّيه النفس الخياليّة للإنسان من شهوات لتزيله عن مرتبة الإخلاص كالجاه وحبّ الدنيا وغيرها من الشهوات الزائلة، ومنها الكرامة بين الناس وقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... **أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وطول الأمل يُنسي الآخرة**»[1].

خلاصة الدرس

- على السالك إلى الله سبحانه وتعالى أن يحصر ما يودّ عمله أو الاعتقاد به بموارد لا يعتريها الشكّ، كما أنّ عليه الحذر من أمور أخرى، وحينها يكون قد نهل العلم من منابعه الأصيلة الّتي لا يعتريها كدر، ولا بدّ من أن يكون هذا الالتزام بالموارد المحدّدة والحذر من الأمور الأخرى.
- على صعيد العبادات والأوراد فينبغي التنبّه للصحيح منها وما ثبت شرعاً وما لم يثبت، وأن لا يقوم بكلّ عمل سمعه من هنا أو هناك.
- **المنابع الأصيلة هي:** القرآن الكريم الّذي شرحه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، وتولّى العلماء تفسيره لنا.
- **ما ينبغي الحذر منه:** ما يخالف الشريعة، الاختراع، الهوى.

(١) منية المريد، الشهيد الثاني، ص١٤٦.

أسئلة

١- هناك مستويان للذي يريد السلوك إلى الله تعالى من خلال ما يلتزم به، ما هما؟

٢- ما هي المنابع الأصيلة؟

٣- ممَّ ينبغي الحذر؟

٤- ما هو خطر الهوى على الإنسان؟

٥- هل الاختراع طريق سليم؟ لماذا؟

للمطالعة

ميزان السلوك

من مواعظ الإمام الخميني قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

ومن إبداع الشيطان الموسوس في صدور الناس، الفريد من نوعه هو أنّه مع بيان عذب ومليح، وأعمال مغرية، قد يعلّق البعض بشحمة أذن فاتنة جميلة ويُسوِّغ هذه المعصية الكبيرة بل هذا الشرك لدى العرفاء، بأنّ القلب إذا كان متعلّقاً بشيء واحد استطاع أن يقطع علاقاته بالآخرين بصورة أسرع فيركّز كلّ توجهه أوّلاً على الفتاة الجميلة بحجّة أنّ القلب ينصرف عن غيرها، وأنّه منتبه إلى شيء واحد، ثمّ يقطع هذا الارتباط الوحيد ويركّز قلبه على الحقّ المتعالي.

وقد يدفع الشيطان بإنسان أبله نحو إنسانٍ أبله، بل شيطان قاطع للطريق ويلتجيء في تسويغ هذا الشرك الجليّ إلى أنّ هذا المرشد هو الإنسان الكامل وأنّه لا سبيل للإنسان في الوصول إلى مقام الغيب المطلق إلّا بوساطة الإنسان

الكامـل المتجسّـد في المـرآة الأحديّة للمرشـد، ويلتحق كّل منهمـا حتّى نهاية عمرهما بعالم الجنّ والشياطين: حيث يفكّر المرشد في جمال معشوقه ومفاتنه، وهذا الإنسان البسيـط بتركيز الانتباه على محيّا مرشده البائس المنكوس حتّى آخـر حياته فلا تنسلخ العلقة الحيوانيّة عن هذا المرشد، ولا يبلغ الإنسان الأبله الأعمى منشودَه ومبتغاه.

ولا بـدّ من معرفـة أنّ المؤمـن لمّا كان سيره فـي هذا العالم معتـدلاً، وقلبه سويّـاً، وتوجّهه نحو اللّه وصراطه مستقيماً، كان فـي ذلك العالم أيضاً صراطه مستقيمـاً وواضحاً، وجسمه معتدلاً وصورته وسيرتـه وظاهره وباطنه في صورة الإنسان وهيئته. وعند مقارنة قلب المشرك بقلب المؤمن نستطيع أن نفهم موقع قلـب المشـرك ومصيره، فحيث إنّ قلبه قد خرج عـن الفطرة الإلهيّة، وانحرف عـن النقطة المركزيّة للكمال، وعن بحبوحة النـور والجمال، وابتعد عن التبعيّة للهـادي المطلق والولـيّ الكامل، وانشغل بأنّيتـه وأنانيّته بالدنيـا وزخارفها، لم يُحشـر المشرك في العوالم الأخرى في سيـرة الإنسان وصورته المعتدلة، وإنّما يُحشر في صورة حيوان منكوس الرأس؛ لأنّ الهيئة والصورة في ذلك العالم تتبع القلوب، وأنّ الظاهر هناك ظلّ لباطن الإنسان هنا، وأنّ القشر انعكاس للبّ...

فالقلـوب الّتي أعرضت عن الحقّ والحقيقة، وخرجت عن فطرتها المستقيمة وأقبلـت على الدنيا، ألقت بظلالها على ذلك العالم حيث يخرج أصحابها هناك من الاعتدال ويكونون منكوسين، ومتّجهين نحو عالم الطبيعة والدنيا الّتي تعتبر أسفل السافلين. فمن المحتمل أن يمشي بعض مكباً على وجهه وتكون ساقه نحو الأعلـى ويمشي بعض على بطنه، وبعض على يديـه ورجليه، كما كان اتجاهه في هـذا العالـم ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] فمن

(١) سورة الملك، الآية: ٢٢.

الممكن أنّ هذا الاستعمال المجازي في هذا العالم المجازي، يتحوّل إلى واقعيّة وحقيقة في عالم الحقائق والظهور للروحانيّات والغيبيّات.

لقد فَسّرت الأحاديث الشريفة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ المذكور في نهاية هذه الآية المباركة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة المعصومين:

عن الكافي بإسناده عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «**قُلْتُ:** ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟ **قالَ: إنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلاً، من حَادَ عَنْ ولايَةِ عَليّ عليه السلام كَمَنْ يَمْشي عَلى وَجْهه لا يَهْتَدي لأَمْره، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيّاً عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالصِّراطُ الْمُسْتَقِيمُ أميرُ الْمُؤْمنين**».

الدرس الرابع

برنامج التزكية

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى حقيقة العقل.
- أن يتبيّن دور العقل في التزكية.
- أن يستحضر معركة الجهاد الأكبر بين الجنود الرحمانيّة والجنود الشيطانيّة.

تمهيد

هنــاك معركة كبيرة تدور داخل نفس الإنسان بين عقله وشهواته، وسنتحدّث في هذا الدرس عن هذه المعركة وحقيقة أطرافها بشيء من التفصيل، إذ لا بدّ من التعرّف على هذا الأمر؛ لأنّ المشرف على المعركة هو نفس الإنسان، فلا بدّ لــه أن يعلم بأطرافها ومدى قوّتهم ومكامن الضعف لديهم، ليعرف كيف يديرها بحيث تصبّ في مصلحته.

أمّــا أطــراف المعركة فالطــرف الأوّل هو قوى النفــس: الشهويّــة والغضبيّة والوهميّــة، الّتي تقوم بدور الطاغي الشريــر الّذي لا يحبّ سوى أن يقوم بملذّاته غيــر عابئ بما يخلّف وراءه من الخراب والدمار. والطرف الآخر هو العقل الّذي يمثّل الخير والمبادئ الصالحة. ولكلّ من هذين الطرفين جنود، فجنود الأهواء النفسيّة تُسمّى جنود الجهل أو جنود الشيطان، والعقل تُسمَّى جنوده بجنود العقل أو الرحمن.

وسنشرح معنى العقل والجهل قبل أن نخوض في المعركة ونقيّم النتائج فيما لو تغلّب أحدهما على الآخر.

ما هو العقل؟

أجـاب الإمـام الصادق عليه السلام عن هذا السـؤال بقوله: «**ما عُبِدَ به الرحمن واكتُسب به الجِنان، فقيل له: فالّذي كان في معاوية؟ فقال عليه السلام: تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل**»[1].

ويُستفاد من الرواية أنّ العقل هو الّذي يُنتج الخير ويأمر به، وأمّا الّذي يتمادى في الشرّ ويخترع الحيل وأساليب المكر فإنّه ليس من العقل بل من الشيطان أي من القوّة الواهمة الّتي توجد في نفس الإنسان حينما يسخّرها لأجل تنفيذ أهوائه وشهواته، وقد سمّاها الإمام عليه السلام بالشيطنة.

ولذا ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنّة**»[2].

وبما أنّ العقل على هذا القدر من الصلاح إذ يوصل الإنسان إلى معرفة الدين ومعرفة ربّ العالمين، فمن الطبيعيّ أن يكون متّصلاً بسائر الأخلاق، ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إنّي أُمرت أن أخيّرك واحدة من ثلاث فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له: وما تلك الثلاث؟ قال: العقل والحياء والدين، فقال آدم عليه السلام: فإنّي قد اخترت العقل، فقال جبرئيل عليه السلام للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرائيل إنّا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما. وعرج**»[3].

لذلك كان العقل محلّاً للتكريم الإلهيّ، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص١١.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي، ج٥١، ص٢٠٦.
(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٤، ص٤١٧.

قال: «**لمّا خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر، ثمّ قال: وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلّا فيمن أحبّ، أما إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهى وإيّاك أعاقب، وإيّاك أثيب**»[1].

وأمّا الجهل فهو عدم التعقّل، ففي الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا، قال سُماعة: فقلت: جُعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرّفتنا، فقال أبو عبد الله: إنّ الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أوّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خَلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي، قال: ثمّ خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانيّاً، فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فلم يُقبل، فقال له: استكبرت. فلعنه**»[2].

دور العقل

إنّ للعقل دوراً مهمّاً، يمكن تلخيصه بالنقاط التالية:

١- **توجيه الميول والغرائز الإنسانيّة:** حينما تكلّمنا عن قوى النفس، ولا سيّما القوّة الغضبيّة والشهويّة قلنا إنّ العقل هو الّذي يحاول أن يضع حدّاً للتمرّد الّذي تقوم به هذه الغرائز، ويجعلها خاضعة لقانون المصالح العامّة، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام: «**النفوس طلقة، لكنّ أيدي العقول تمسك أعنّتها عن النحوس**»[3].

أي عن ارتكاب المخالفات الّتي تدمّر المجتمع.

٢- **الأمر بالخير:** فإنّ العقل يأمر بكثير من الأمور الأخلاقيّة الأساس،

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص١٠.
(٢) م. ن، ج١، ص٢١.
(٣) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢٠٣٩.

كحسن الصدق والوفاء، وقبح الكذب والخداع، وإلى هذا المعنى أشارت الكثير من الروايات، منها ما رُوي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنّها ممّا يدلُّ على سبيل النجاح**»[1].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا**»[2].

٣- **الصلاح الاجتماعيّ**: إنّ تجاهل الإنسان لنداء العقل الداعي إلى الخير، والناهي عن الشرور والطغيان يؤدّي بالمجتمعات إلى التحلّل ومن ثَمَّ الانهيار، وخير دليل وشاهد على صحّة هذا القول ما نراه في الدول الكبرى الّتي نقمت على الدين واعتبرته كابتاً لحاجات الإنسان، وشرّعت الإباحيّة، فها هي اليوم تعاني الأمرّين من جرّاء ضياع النسل وتفكّك الأسر وانقراض الحياة العائليّة الأسريّة، ولو حاولنا أن نجد السبب الرئيس لهذه المشاكل لوجدنا الإجابة في أنّهم لم يُصغوا لنداء العقل، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فُضِّل العقل على الهوى؛ لأنّ العقل يملّكك الزمان، والهوى يستعبدك للزمان**»[3].

الجهاد الأكبر

بعد أن عرفنا حقيقة العقل والجهل في الإنسان وأنّهما متصارعان على الدوام، سنتحدّث فيما يلي، عن هذا الصراع العنيف الّذي يجري داخل النفس بين جنودهما، وهنا يكون الجهاد الحقيقيّ، يقول الإمام الخميني قدس سره: وفيها

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١، ص١٩٣.
(٢) م.ن، ج٢، ص٢٨٦.
(٣) راجع كتاب الأفكار والميول، الأستاذ محمد تقي فلسفي، ج١، ص ١٦٠ وما بعدها.

(أي في مملكة الباطن عند الإنسان) تكون جنود النفس أكثر ممّا في مملكة الظاهر وأهمّ، والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمانيّة والشيطانيّة أعظم والغلبة والانتصار فيها أشدّ وأهمّ...

وجهاد النفس في هذا المقام مهمّ للغاية عند المشايخ العظام من أهل السلوك والأخلاق، بل ويمكن اعتبار هذا المقام منبع جميع السعادات والتعاسات، والدرجات والدركات[1].

نموذج عن معركة

من المناسب أن نذكر نموذجاً من المعارك الّتي تجري في باطن الإنسان بين جنود العقل والجهل حتّى تتبيّن لنا كيفيّة هذا الصراع بشكل أوضح.

فمن النماذج الّتي سلّط التاريخ عليها ضوءاً، نموذج عمر بن سعد حين وعده الخليفة الظالم يزيد بن معاوية (لعنه الله)، بإمارة الريّ، ولكنّه طلب منه مقابل منحه لإمارة الريّ، أن يقتل الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وابن السيّدة الزهراء وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهنا اصطفّت الجنود للمعركة في نفس عمر بن سعد، فجعل يتخيّر بين قتل الحسين عليه السلام والّذي تأمره به النفس الأمّارة وحبّ الجاه والمنصب لينال إمارة الريّ، وبين العقل الّذي يمنعه عن ذلك من خلال جند الرحمن الّذين يحذّرونه من عاقبة قتل إمام زمانه المظلوم، وكان يقول في ليله:

أأتركُ ملكَ الريِّ والريُّ منيتي ... أم أرجعُ مأثوماً بقتلِ حسينِ؟
ففي مثلِهِ النارُ الّتي ليس دونها ... حجابٌ ومُلكُ الريِّ قرّةُ عيني

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، حديث جهاد النفس.

فهنـا يتجلّى ويحتدم الصراع لاحتلال النفس، ولكن في هذه المعركة تغلّبت جنـد الشيطان علـى عقل عمر بن سعد فرضخ لحبّ الجـاه، وقتل الإمام العادل حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ونمـوذج آخر ينقله لنا التاريـخ وهو موقف الحرّ بن يزيد الرياحيّ، الّذي كان فـي جيش ابـن زياد وقد خيّر نفسه بين الجنّة الّتـي يلقاها بالاستشهاد من أجل الهدف النبيل في الدفاع عن الإسلام الحقيقيّ المتمثّل بالإمام الحسين عليه السلام، وبيـن النـار الّتي تتمثّـل في دعم الطغيان الّـذي يمثّله يزيد بـن معاوية، فاختار الجنّة وعاد تائباً إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

تقييم لنتائج المعركة

إنّ الهزيمة الّتي تتعرّض لها الجيوش في المعارك الّتي تجري بين المتحاربين فـي الدنيا، قد تكون هزيمة محـدودة في كثير من الأحيان، وقد يستطيع الجيش أن يلملـم صفوفه مرّة أخرى ليعاود شنّ الهجوم علـى الأعداء، ولكن في معركة جنود العقل والجهل قد يكون هذا ممكناً في أوّل الأمر، إلّا أنّ الأمر يختلف فيما لو انتصر جنود الجهل نصراً ساحقاً، فيجب على الإنسان الالتفات كثيراً إلى نفسه في هذا الجهاد، فمن الممكن – لا سمح الله – أن تُسفر هزيمة الجنود الرحمانيّة فـي تلـك المملكة وتركها خاليـة للغاصبين والمحتلّين من جنـود الشيطان، عن الهـلاك الدائم للإنسان بالصورة الّتي يستحيل معها تلافي الخسارة ولا تشمله شفاعـة الشافعين، وينظـر إليه أرحم الراحمين أيضاً بعيـن الغضب والسخط، نعوذ بالله من ذلك، بل ويصبح شفعاؤه خصماءَه، وويل لمن كان شفيعه خصمه.

ويعلم الله أيّ عذاب وظلمات وشدائد وتعاسات تلي هذا الغضب الإلهيّ، وتعقب معـاداة أولياء الله حيث تكـون كلّ نيران جهنّم وكلّ الزقّـوم والأفاعي والعقارب لا شـيء أمام هزيمـة جنود الرحمان من قِبَل جنود الشيطـان الّتي تترتّب عليها

عقوبـات تفوق جميع نيران جهنّـم والزقّوم والأفاعي. والعياذ باللّه من أن يصبّ علـى رؤوسنا، نحن الضعفاء والمساكين، ذلك العذاب الّذي يُخبر عنه الحكماء والعرفـاء وأهل الرياضة والسلوك، فإنّ جميع أشـكال العذاب الّتي تتصوّرونها، يسيـرة وسهلة في مقابله، وجميع النيران الّتي سمعتموها، جنّة ورحمة في قباله وبالنسبة إلى ذلك العذاب.

خـلاصـــة الـدرس

- إنّ هنـاك طرفين للمعركة الّتي تحدث داخـل النفس الإنسانيّة؛ الطرف الأوّل هو قوى النفس: الشهويّة والغضبيّة والوهميّة، الّتي تقوم بدور الطاغي الشرير الّـذي لا يحبّ سوى أن يقوم بملذّاته غير عابىء بما يخلّف وراءه من الخراب والدمـار، والطـرف الآخر هو العقل الّـذي يمثّل الخير والمبـادئ الصالحة، ولـكلّ من هذين الطرفين جنود، فجنـود الأهواء النفسيّة تسمّى جنود الجهل أو جنود الشيطان، والعقل تسمّى جنوده بجنود العقل أو الرحمن.
- إنّ العقـل هو الّذي يدرك الخير ويأمر به، وأمّا الّذي يتمادى في الشرّ ويخترع الحيـل وأساليب المكـر فإنّه ليس من العقل، بل من الشيطـان، أي من القوّة الواهمـة الّتـي توجد في نفـس الإنسان حينمـا يسخّرها لأجـل تنفيذ أهوائه وشهواته، وتسمّى حينئذ بالشيطنة.
- لـو انتصر جنود الجهل في المعركة على جنود العقل قد يكون تدارك الهزيمة ممكنـاً فـي أوّل الأمـر، إلّا أنّ الأمر يختلف فيما لو سحق جنـودُ الجهل جنودَ العقـل، فيجب على الإنسـان الالتفات كثيراً إلى نفسه فـي هذا الجهاد، فمن الممكـن – لا سمح اللّه – أن تُسفر هزيمة الجنود الرحمانيّة في تلك المملكة وتركهـا خالية للغاصبين والمحتلّين من جنـود الشيطان، عن الهلاك الدائم للإنسان بالصورة الّتي يستحيل معها تلافي الخسارة.

أسئلة

١- ما هو العقل؟

٢- ما هو الجهل؟

٣- كيف يتصارع جنود العقل والجهل؟

٤- كيف يمكن لجنود العقل أن تهزم جنود الجهل؟

٥- قيِّم نتائج المعركة فيما لو انتصر أيّ من الفريقين.

للمطالعة

حبُّ الله تعالى

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

اعلم أنّ ما تناله النفس من حظّ في هذه الدنيا، يترك أثراً في القلب، وهو من تأثير الملك والطبيعة، وهو السبب في تعلّقه بالدنيا. وكلّما ازداد التلذّذ بالدنيا، اشتدّ تأثّر القلب وتعلّقه بها وحبّه لها، إلى أن يتّجه القلب كُلّياً نحو الدنيا وزخارفها، وهذا يبعث على الكثير من المفاسد. إنّ جميع خطايا الإنسان وابتلاءه بالمعاصي والسيّئات سببها هذا الحبّ للدنيا والتعلّق بها، كما ورد في الحديث الّذي أوردناه من كتاب أصول الكافي قبل قليل.

وإنّ من المفاسد الكبيرة لحبّ الدنيا - كما كان يقول شيخنا العارف روحي فداه - هو أنّه إذا انطبع حبّ الدنيا على صفحة قلب الإنسان، واشتدّ الأنس بها، انكشف له عند الموت أنّ الحقّ المتعال يفصل بينه وبين محبوبه، ويفرّق بينه وبين مطلوبه، فيغادر الدنيا ساخطاً مغتاظاً على وليّ نعمته. إنّ هذا القول القاصم للظهر يجب أن يوقظ الإنسان أيّما إيقاظ للحفاظ على قلبه. فالعياذ

باللّه من إنسان يسخط على وليّ نعمته، مالك الملوك الحقّ، إذ ليس أحد يعرف صورة هذا السخط والعداء، غير اللّه تعالى.

ويقول أيضاً شيخنا المعظّم قدس سره نقلاً عن أبيه المعظّم، إنّه كان في أواخر عمره خائفاً بسبب المحبّة الّتي كان يكنّها لأحد أولاده، ولكنّه بعد الانهماك بالرياّضات النفسيّة تخلّص من ذلك الخوف، وانتقل إلى دار السرور مسروراً، رضوان اللّه عليه.

جاء في «**الكافي**» بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**مَثَلُ الدُّنيا كَمَثَلِ ماء البحرِ كُلَّما شَرِبَ مِنْهُ العطشانُ ازدادَ عَطَشاً حَتَّى يقتله**».

إنّ حبّ الدنيا ينتهي بالإنسان إلى الهلاك الأبديّ، وهو أصل البلايا والسيّئات الباطنيّة والظاهريّة، وقد نقل عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**إِنَّ الدِّرْهَمَ وَالدِّينَارَ أَهْلَكَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**».

وعلى فرض أنّ الإنسان لم يرتكب معاصي أخرى، على الرغم من أنّ هذا الفرض بعيد، أو من المستحيل عادة، فإنّ التعلّق بالدنيا نفسه معصية، بل إنّ مقياس طول بقاء الإنسان في عالم القبر والبرزخ هو أمثال هذه التعلّقات. فكلّما كان التعلّق بالدنيا أقلّ كان البرزخ وقبر الإنسان أكثر نوراً وأوسع، ومكثه فيه أقصر. لذلك فقد ورد في بعض الروايات أنّ عالم القبر لأولياء اللّه لا يزيد عن ثلاثة أيام، وإنّما كان هذا لأجل التعلّق الطبيعيّ والعلاقة الجِبلّية لأولياء اللّه تجاه العالم.

وإنّ من مفاسد حبّ الدنيا والتعلّق بها هو أنّه يجعل الإنسان يخاف الموت. وهذا الخوف الناشئ من حبّ الدنيا، والتعلّق القلبيّ بها المذموم جدّاً، غير الخوف من المرجع – مآل الإنسان بعد الموت – المعدود من صفات المؤمنين.

إنّ أهمّ صعوبة في الموت هي الخوف من الموت. يقول المحقّق المدقّق الإسلاميّ البارع، السيّد العظيم الشأن، الداماد كرّم اللّه وجهه في كتابه «**القبسات**» الّذي يُعَدُّ من الكتب النادرة: «**لاَ يُخيفنّك الموتُ، فإنَّ مَرارَته في خوفه**».

الدرس الخامس

أسس تهذيب النفس

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب على البرنامج اليوميّ لتهذيب النفس.
- أن يتبيّن أهميّة ترك المحاسبة والمراقبة للنفس وخطورتها.
- أن يلتزم بمعاتبة نفسه ومعاقبتها عند المخالفة ضمن الموازين الشرعيّة.

تمهيد

إنّ الإنسان ما دام حيّاً في هذه الدنيا تتوفّر لديه فرصة الارتقاء في مدارج الكمال، فإن كان مبتلى بعيوب فعليه أن يتخلّص منها ويُصلح نفسه، وإن كان موفّقاً بالتحلّي بصفات نفس جيّدة وأعمال جوارح حسنة، فعليه أن يسعى نحو الأحسن، فالإصلاح وتهذيب النفس لا يأتيان صدفة، وإنّما هما نتيجة سعي الإنسان ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1]، فما هو البرنامج الّذي يساعده على ذلك؟

إنّ البرنامج قد وضعه لنا اللّه تبارك وتعالى وأرسله مع الأنبياء عليهم السلام وأنزله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2] فالبرنامج متوفّر ومعروف، ولكنّ السؤال الحقيقيّ: كيف يُمكن أن نلزم أنفسنا بهذا البرنامج؟ يمكن ذلك من خلال محاسبة النفس ومساءلتها، كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من تعاهد نفسه بالمحاسبة أمن فيها المداهنة**»[3].

وذلك باتّباع الخطوات الآتية:

أوّلاً: يشارط نفسه على ما تفعله وتتركه.

(١) سورة النجم، الآية:٣٩.

(٢) سورة الإنسان، الآية:٣.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص١٥٣.

ثانياً: يراقبها دائما وأبداً وفي جميع الحالات ليمنعها من أيّ انحراف محتمل.

ثالثاً: يحاسبها ليرى مدى التزامها بما اشترطه عليها.

رابعاً: يعاتبها لو تبيّن له عدم التزامها بما اشترطه عليها.

خامساً: له أن يعاقبها بعد إدانتها، فيمنعها من تحقيق شهواتها سيّما في موارد تقصيرها.

هذه الخطوات الخمس هي البرنامج اليوميّ الّذي يجب أن يلتزم به الإنسان. هذا على نحو الإجمال وسنتحدّث عن هذه المراحل بشيء من التفصيل.

المشارطة

فالمشارطة هي أن يشارط الإنسان نفسه في أوّل يومه على أن لا يرتكب فيه أيّ عمل يخالف أوامر اللّه، ويتّخذ قراراً بذلك ويعزم عليه، وأمّا العزم فيكون عند كلّ شخص بحسبه، فمن كان تاركاً لبعض الواجبات فعليه أن يعزم على أن لا يترك واجباً، ومن كان فاعلا للمحرّمات – والعياذ باللّه – فعليه أن يعزم على تركها، وأمّا من كان قد ترفّع عن هذين الأمرين بحيث كان يفعل الواجب ويترك المحرّم فعليه أن يعزم على الثبات، وواضح أنّ ترك ما يُخالف أوامر اللّه تعالى ليوم واحد أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان بكلّ سهولة أن يلتزم به، وإن اختلفت درجات يسره من شخص لآخر إلّا أنّه في النهاية أمر يسير، فاعزم وشارط نفسك وجرّب، وانظر كيف أنّ الأمر سهل يسير، فإنّ اللّه تعالى إذا رأى من العبد سعياً للتقرّب إليه أخذ بيده ويسّر له أمره ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[1]، ومن الممكن أن يصوّر لك إبليس اللعين وجنده أنّ الأمر صعب وعسير. فاعلم أنّ هذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فالعنه قلباً وعملاً، وأخرج الأوهام الباطلة من

(١) سورة الليل، الآية:٧.

قلبك، وجرّب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدّق هذا الأمر.

وينبغي الالتفات هنا أن لا يثقل الإنسان على نفسه، كما ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ وضع الإيمان على سبعة أسهم؛ على البرّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثمّ قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل، محتمِل، وقسّم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتّى انتهوا إلى سبعة، ثمّ قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم**[1]...»[2].

المراقبة

وبعد هذه المشارطة عليك أن تنتقل إلى «**المراقبة**»، وهي أن تنتبه طوال اليوم إلى عملك، وإذا حصل لا سمح الله حديث لنفسك بأن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله – وهذا أمر ممكن الحصول؛ لأنّ الشيطان وجنده لن يدعوك تهزمهم بهذه السهولة، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطته على نفسك – فالعنهم واستعذ بالله من شرّهم، وأخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: «**إنّي اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم، وهو يوم واحد، بأيّ عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو وليّ نعمتي طول عمري، فقد أنعم وتلطّف عليَّ بالصحّة والسلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أنّي بقيت في خدمته إلى الأبد لما أدّيت حقّ واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرط بسيط كهذا**»، والمراقبة لا تتعارض مع أيّ من أعمالك كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل ريثما يحين وقت المحاسبة[3].

(١) **تبهضوهم**: أي تثقلوا عليهم وتوقعوهم في الشدّة.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٤٢.

(٣) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، الحديث الأوّل بتلخيص وتصرّف.

المحاسبة

وأمّـا «**المحاسبـة**» فهي أن تحاسب نفسك لتـرى: هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع اللّه، ولم تخن وليّ نعمتك في هذه المعاملة الصغيرة؟ وقد ورد عن أمير المؤمنيـن عليه السلام: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبـوا ووازنوها قبل أن توازَنوا، حاسبوا أنفسكم بأعمالها وطالبوها بأداء المفروض عليها والأخذ من فنائها لبقائها**»[1] وعنـه عليه السلام: «**ما أحـقّ الإنسان أن تكون له ساعـة لا يشغله شاغل، يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب له وعليها، في ليلها ونهارها**»[2]، وإذا كنت قد وفيت حقّاً فاشكر اللّه على هذا التوفيق، وإن شاء اللّه ييسّر لك سبحانه التقـدّم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه؛ لأنّ النفـس مطواعة لعقل الإنسـان كالشمع في يديه لا كالحديـد إذ من الصعب أن يُلوى، فعلى الإنسان أن يطوّع نفسه على الأمور الحسنة ولو كانت للشر أميل منها للخير، فالإنسان نفسه هو الّذي أوصلها إلى هذه الحالة، كما أنّ النفس في صغر العمـر أسهـل إصلاحاً من الكبر، ولذا اشتهر القول «**العلـم في الصغر كالنقش فـي الحجـر**»، فعلى الإنسان المهتمّ بإصـلاح النفس أن يجهد في شبابه لاقتلاع الملكات الرديئة الّتي يصعب قلعها في الكبر، وهذا ما حثّت عليه الروايات، منها قـول الرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذرّ الغفاريّ رضـوان اللّه تعالى عليه: «**يـا أبا ذرّ، اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك...**»[3].

وعلـى كلّ حال فإن كنت مهتمّاً بإصلاح نفسك، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمـول أن يتحوّل إلى مَلَكَة فيك بحيث يصبـح يسيراً للغاية، وستشعر عندها باللذّة والأنس في طاعة اللّه تعالى وترك معاصيه.

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص ١٥٣.
(٢) م. ن، ج١٢، ص ١٥٤.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١، ص١١٤.

وإذا حدث – لا سمح الله – في أثناء المحاسبة تهاون وفتور تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله واطلب العفو منه، واعزم على الوفاء بكلّ شجاعة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانيّة.

المعاتبة والمعاقبة

بعد أن يشترط الإنسان على نفسه ويراقبها ويحاسبها فإن تبيّن له أنّها ارتكبت ما يخالف الشرط الّذي اشترطه عليها، فلا بدّ له من أن يعاتبها ثمّ يعاقبها من أجل أن تتمّ صفقته ويجني ثمارها، وإلّا فإنّه يجد نفسه قد أهدر عمره وقد خسر رأس ماله في صفقة خاسرة لم يتدارك الخسارة فيها من أوّلها، وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حقّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يعرف عمله في كلّ يوم وليلة على نفسه، فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنة استزاد منها وإن رأى سيّئة استغفر منها، لئلّا يُخزى يوم القيامة**»[1] يقول الفيض الكاشاني: والعجب أنّك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر عنهم من سوء خلق وتقصير في أمر، وتخاف أنّك لو تجاوزت عنهم خرج أمرهم من يدك وبغوا عليك، ثمّ تهمل نفسك وهي أعظم عداوة لك وضراوة، وأشدّ طغياناً عليك، وضررك من طغيانها أعظم من طغيان أهلك، فإنّ غرضهم أن يشوّشوا عليك معيشة الدنيا، ولو عقلت لعلمت أنّ العيش عيش الآخرة، وأنّ نعيم الجنّة هو النعيم المقيم الّذي لا آخر له، ونفسك هي الّتي تنغّص عليك عيش الآخرة فهي أولى بالمعاقبة من غيرها[2].

العقوبة على قدر المخالفة

كان علماؤنا العظام، قدّس الله تعالى أسرارهم، يشارطون ويعاهدون الله

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص ١٥٣.

(٢) المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج٨، ص ١٦٩.

تعالى على فعل ما أو ترك أمر ما وينذرون الصيام لأوقات محدّدة لو خالفوا ما شرطوه على أنفسهم، وبذلك يكون مثل هذا النذر مانعاً لهم عن مخالفة الشرط لأنّ ثقل العقاب يشكّل رادعاً عن ارتكاب الجريمة.

ومن المناسب أن يلتفت الإنسان إلى أنّ العقوبة يحسن أن تكون من صنف الخيانة الّتي قام بها الإنسان لشرطه، فلو كانت الخيانة مرتبطة بالطعام والشراب فليكن العقاب بالمنع عنهما كالصوم، ولو كانت من صنف شهوة النساء فيكون العقاب للنفس بمنعها عن هذه الشهوة لمدّة يحصل بها الغرض من العقاب، ولو كانت بسبب كثرة الكلام، فليعاقب نفسه بالصمت لفترة، وهكذا.

العقاب ضمن الموازين الشرعيّة

إنّ إيجابيّة أن يعاقب الإنسان نفسه لا تعني أن يعاقبها بأيّ عقاب، كما قد يفعل بعض الناس كأن يعذّبوا أنفسهم بشكل مؤذٍ وخطير، وإنّ الإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر عليه أن يلتفت إلى حدود الشريعة في هذا المورد كما في سائر الموارد وكما هو معروف «**لا يطاع الله من حيث يُعصى**»، ولعلّ الصوم من أفضل الأمور الّتي يُستعان بها على النفس لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ...﴾[1] والمقصود من الصبر الصيام، كما تؤكّد الرواية عن الإمام الصادق[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) الكافي، الكليني، ج٤، ص٦٣.

خلاصة الدرس

- على الإنسان المكلّف أن يحاسب نفسه في كلّ يوم، فيبدأ بالمشارطة فيشارط نفسه في أوّل يومه على أن لا يرتكب فيه أيّ عمل يخالف أوامر الله، ويتّخذ قراراً بذلك ويعزم عليه.
- إذا حصل - لا سمح الله - حديث للنفس بأن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم بأنّه وسوسة الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، فخالفهما واستعذ بالله من شرّهما.
- حاسب نفسك آخر اليوم لترى: هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن وليّ نعمتك في هذه المعاملة الصغيرة؟ فإذا كنت قد وفيت حقّاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسّر لك - سبحانه - التقدّم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه.
- بعد أن يشترط الإنسان على نفسه ويراقبها ويحاسبها فإن تبيّن له أنّها ارتكبت ما يخالف الشرط الّذي اشترطه عليها، فلا بدّ من أن يعاتبها ثمّ يعاقبها من أجل أن تتمّ صفقته ويجني ثمارها، وإلّا فإنّه سيجد نفسه قد أهدر عمره وقد خسر رأس ماله في صفقة خاسرة، لم يتدارك الخسارة فيها من أوّلها.
- إنّ إيجابيّة أن يعاقب الإنسان نفسه لا تعني أن يعاقبها بأيّ عقاب، كأن يعذّب نفسه بشكل مؤذ وخطير، فإنّ الإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر عليه أن يلتفت إلى حدود الشريعة في هذا المورد، وكما هو معروف «**لا يطاع الله من حيث يُعصى**».

أسئلة

١- ما معنى المراقبة؟ وما هي أهمّيتها وكيفيّتها؟

٢- لماذا لا بدّ من المشارطة؟ وما هي كيفيّتها؟

٣- كيف تكون المحاسبة؟

٤- تحدّث عن المعاتبة والمعاقبة.

٥- هل هناك من ميزان شرعيّ للمعاقبة؟

للمطالعة

من عبادة الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام[1]

قال طاووس الفقيه: رأيت الإمام زين العبدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلمّا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة، ثمَّ بكى وقال: وعزَّتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٌّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي؟

فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفّين جُوزوا، وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلي! كلّما طال عمري كثرت

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي)، ص١٧٦.

خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي؟! ثمّ بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثمّ أين محبّتي؟
أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الورى خلقٌ جنى كجنايتي

ثمَّ بكى وقال: سبحانك تُعصى كأنّك لا تُرى وتحلم كأنّك لم تُعص تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيُّ عنهم. ثمَّ خرَّ إلى الأرض ساجداً. قال: فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدِّه، فاستوى جالساً وقال: من الّذي شغلني عن ذكر ربّي؟ فقلت: أنا طاوس يا بن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن عليّ وأمّك فاطمة الزهراء، وجدُّك رسول الله ﷺ؟! قال: فالتفت إليَّ وقال: هيهات هيهات يا طاووس، دع عنّي حديث أبي وأمّي وجدِّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيّاً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1] والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدِّمها من عمل صالح.

(١) سورة المؤمنون، الآية:١٠١.

الدرس السادس

الزهد والرغبة

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الزهد وفضله.
- أن يتبيّن كيفيّة اكتساب الزهد.
- أن يتبيّن بعضاً من آثار الرغبة في الدنيا.

فضل الزهد

حثّت الروايات الكثيرة على الزهد وذكرت فضله عند الله تعالى وما له من الأثر في الدنيا والآخرة، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جُعل الخير كلّه في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا**»، ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتّى لا يبالي من أكل الدنيا**» ثمّ قال عليه السلام: «**حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتّى تزهد في الدنيا**»[1].

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا**»[2].

ما هو الزهد؟

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى:** ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[3] **ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه**»[4]. وهذه الرواية تشرح أمرين:

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٢٨.
(٢) م. ن.
(٣) سورة الحديد، الآية:٢٣.
(٤) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج١٦، ص١٩.

أوّلاً: ليس الزهد أن لا تحصل على شيء أو أن ترفض نعَم الدنيا وتبتعد عنها وتعيش حياة الفقراء والمساكين، فالآية الكريمة تقول: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1] فالله تعالى ينعم على الإنسان المؤمن وسيستفيد هذا المؤمن من النعمة «**آتاكم**» ولم يطلب الله تعالى من الزاهد أن يرفض النعم، وهذا واضح من شرح أمير المؤمنين عليه السلام فهو عليه السلام يؤكّد أنّ النعم سيحصل عليها الزاهد أيضاً «**لم يفرح بالآتي**». وهذا ما تشير له العديد من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزَّ وجلَّ**»[2].

ثانياً: الزهد هو صفة راسخة في نفس الإنسان تكون نتيجتها أمرين: لا يفرح بالدنيا المقبلة ولا يحزن على الدنيا المدبّرة. ليصل إلى مرحلة لو أصاب فيها حظّاً وافراً لم يفرح فرح المنتصرين، ولو أصيب بمصيبة لم يجزع جزع الحريصين. فالزاهد هو الّذي يستفيد من الدنيا دون أن يكون أسيراً لها.

كيف يُكتسب الزهد؟

يحصل الزهد في قلب الإنسان من خلال أمور، منها:

١- ذكر الموت

فإنّ ذكر الموت، الّذي هو عبارة عن تسخيف كلّ ما هو من متاع الدنيا؛ لأنّ ما بها من نعم كالمال فإنّه إمّا زائل أو منتقل للورثة، والأزواج إمّا أن تموت قبلنا أو نموت قبلها فتتزوّج من غيرنا لتستمّر الحياة، وهكذا كلّ متاع الدنيا فهو متروك من الإنسان عند الموت، والموت -كما سمّاه أمير المؤمنين عليه السلام هادم اللذّات

(١) سورة الحديد، الآية:٢٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٧٠.

-من الأمور الّتي تجعل الدنيا حقيرة في نفس الإنسان، وبالتالي يخرج حبّها من القلب عند تذكّره باستمرار، وفي الروايات الشريفة ما يدلّ على هذا المعنى، فقد قال أبو عبيدة للإمام الباقر عليه السلام: حدّثني بما أنتفع به فقال: «**يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت، فإنّه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلّا زهد في الدنيا**»[1].

٢- التفكّر

فالتفكّر في حال الدنيا والآخرة، وما فيهما من الباقي والفاني، وإجراء بعض الحسابات النفسيّة لما يدّعيه الإنسان من محبّة الله تعالى، يجعلانه يصل إلى النتيجة المطلوبة وهي الزهد، ففي الراوية عن جابر قال: دخلت على الإمام الباقر عليه السلام فقال: «**يا جابر والله إنّي لمحزون، وإنّي لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟ فقال: يا جابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شُغل قلبه عمّا سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها؟!. يا جابر إنّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدنيا، ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار، والدنيا دار فناء وزوال ولكنّ أهل الدنيا أهل غفلة، وكأنّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يصمّهم عن ذكر الله جلّ اسمه ما سمعوا بآذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة، كما فازوا بذلك العلم. واعلم يا جابر أنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكروك، قوّالون بأمر الله قوّامون على أمر الله، قطعوا محبّتهم بمحبّة ربّهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى محبّته بقلوبهم وعلموا أنّ ذلك هو المنظور إليه، لعظيم شأنه، فأنزل الدنيا كمنزلٍ نزلتَه ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣١.

فاستيقظت وليس معك منه شيء، إنّي (إنّما) ضربت لك هذا مثلاً، لأنّها عند أهل اللبّ والعلم بالله كفيء الظلال، يا جابر، فاحفظ ما استرعاك الله عزَّ وجلَّ من دينه وحكمته ولا تسألنّ عمّا لك عنده إلّا ما له عند نفسك...»[1].

الحرص والرغبة في الدنيا

في مقابل الزهد هناك الرغبة في الدنيا الّتي تحدّثت عنها الروايات الكثيرة، وقد عدّت حبّها رأس كلّ خطيئة، ووصفتها روايات أخرى بالأفعى، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ في كتاب الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها، وفي جوفها السمّ الناقع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوى إليها الصبيّ الجاهل**»[2].

ولحبّ الدنيا والحرص عليها والرغبة بها آثار كثيرة، منها:

١- الكآبة:

فالإنسان الحريص على الدنيا تراه كئيباً مشغولاً فكره من الصباح إلى المساء بها بحيث لا يجد لنفسه ساعة من الراحة إلّا حين ينام بعد القلق الّذي يتعبه في اليقظة، وتراه إذا فقد منها أمراً أو أصيب بضائقة، سيّئ الطباع تعيس الحال، فمثله كما عبرت عنه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً**»[3].

٢- البعد عن الآخرة:

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة، وفي**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣٢.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي، ج١٦، ص١٧.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣٤.

طلب الآخرة إضراراً بالدنيا، فأضرّوا بالدنيا فإنّها أولى بالإضرار»[1].

والطلب بمعنى جعلها الهدف الأساس لحركة الإنسان، فيجب أن يكون للإنسان هدفٌ أساسٌ واحدٌ يسعى إليه، تكون له الأولويّة عند تعارضه مع غيره.

ومثاله ما لو وقع الإنسان العاطل عن العمل بين خيارين؛ بين أن يعصي الله تعالى من خلال كسب فيه شبهات أو محرّم واضح، وبين الانتظار إلى أن يجد عملاً حلالاً ولا شبهةً فيه، فإن كان هدفه الأساس هو الدنيا فسيعمل بهذا المكسب المحرّم ويكون حبّ الدنيا قد استولى على قلبه، أمّا إن كان هدفه الآخرة فإنّه سيستبعد الأمر ويصبر حتّى يُهيّىء الله تعالى له رزقاً حلالاً، وهذا هو الزاهد.

خلاصة الدرس

- الزاهد هو الذي يستفيد من الدنيا دون أن يكون أسيراً لها.
- يحصل الزهد في قلب الإنسان من خلال أمور منها: ذكر الموت، التفكّر في فناء العالم.
- من آثار الحرص على الدنيا: الكآبة، البعد عن الاخرة.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣١.

أسئلة

١- ما المقصود من الزهد؟

٢- ما المقصود من الرغبة؟

٣- كيف يحصل الزهد في قلب الإنسان؟

٤- لماذا يتسبّب عدم الزهد بالبعد عن الآخرة؟

٥- ما هي آثار الحرص على الدنيا؟

للمطالعة

صحّة الروح

من مواعظ الإمام الخميني قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

اعلم أيّها العزيز أنّه مثلما يكون لهذا الجسد صحّة ومرض، وعلاج ومعالج، فإنّ للنفس الإنسانيّة أيضاً صحّة ومرضاً، وسقماً وسلامة، وعلاجاً ومعالجاً. إنّ صحّة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانيّة، ومرضها وسقمها هو الاعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانيّة، وإنّ الأمراض النفسيّة أشدّ فتكاً آلاف المرّات من الأمراض الجسميّة؛ وذلك لأنّ هذه الأمراض إنّما تصل إلى غايتها بحلول الموت. فما إن يحلّ الموت، وتفارق الروح البدن، حتّى تزول جميع الأمراض الجسميّة والاختلافات الماديّة، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد. ولكنّه إذا كان ذا أمراض روحيّة وأسقام نفسيّة - لا سمح الله - فإنّه ما إن تفارق الروح البدن، وتتوجّه إلى ملكوتها الخاصّ، حتّى تظهر آلامها وأسقامها.

إنّ مَثَل التوجّه إلى الدنيا والتعلّق بها، كمثل المخدّر الّذي يسلب الإنسان شعوره

بنفسه. فعندما يزول ارتباط الروح بدنيا البدن، يرجع إليها الشعور بذاتها، ومن ثَـمّ الإحساس بـالآلام والأسقام الّتي كانت في باطنهـا، فتظهر مهاجمة لها بعد أن كانت مختفية كالنار تحت الرماد. وتلك الآلام والأسقام إمّا أن تكون ملازمة لهـا (للـروح) ولا تزول عنها أبداً، وإمّـا أن تكون قابلة للـزوال. وفي هذه الحال يقتضيهـا أن تبقى آلاف السنين تحت الضغط والعنـاء والنار والاحتراق قبل أن تـزول، إذ إنّ آخر الدواء الكيّ. قـال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾[1].

إنّ الأنبيـاء هـم بمنزلة الأطبّـاء المشفقين، الّذين جاءوا بـكلّ لطف ومحبّة لمعالجـة المرضى، بأنواع العلاج المناسب لحالهم، وقاموا بهدايتهم إلى طريق الرشـاد «**إنّنا أطبّـاء وتلاميذ الحـقّ**» وإنّ الأعمال الروحيّـة القلبيّة والظاهريّة والبدنيّـة هي بمثابة الـدواء للمرض كما أنّ التقوى، فـي كلّ مرتبة من مراتبها، بمثابـة الوقاية من الأمور المضرّة للأمراض ومـن دون الحميّة لا يمكن أن ينفع العلاج، ولا أن يتبدّل المرض إلى صحّة.

قـد يغلب الدواء والطبيعة على المرضـ في الأمراض الجسميّة حتّى مع عدم الحميـة جزئيّـاً. وذلك لأنّ الطبيعة هي نفسها حافظـة للصحّة ودواء لها. ولكنّ الأمـر فـي الأمراض النفسيّة صعب؛ وذلـك لأنّ الطبيعة قـد تغلّبت على النفس منذ البداية، فتوجّهت هذه نحو الفساد والانتكاس: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾، وعليـه، فإنّ من يتهاون في الحمية تصرعه الأمراض، وتجد مناطق للنفوذ إليه، حتّى تقضي على صحّته قضاء مبرماً.

إذاً، فالإنسـان الراغـب في صحّة النفسـ، والمترفّق بحالـه إذا تنبّه إلى أنّ وسيلة الخلاص من العذاب تنحصر في أمرين:

(١) سورة التوبة، الآية:٣٥.

الأوّل: الإتيان بما يصلح النفس ويجعلها سليمة.

والآخر: هو الامتناع عن كلّ ما يضرّها ويؤلمها.

ومن المعلوم أنّ ضرّر المحرّمات أكثر تأثيراً في النفس من أيّ شيءٍ آخر، ولهذا كانت محرّمة، كما أنّ الواجبات لها أكبر الأثر في مصلحة الأمور، ولهذا كانت واجبة وأفضل من أيّ شيء، ومقدّمة على كلّ هدف، وممهّدة للتطوّر إلى ما هو أحسن.

الدرس السابع

آثار الذنوب الدنيويّة

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الذنب.
- أن يتبيّن آثار الذنوب الدنيويّة.

تمهيد

١- الذنب لغة: الإثم والجرم والمعصية.

٢- اصطلاحاً: ترك المأمور به من الله، وفعل المنهيّ عنه، وبعبارة أخرى أن يراك الله حيث نهاك، وأن يفتقدك حيث أمرك.

والمأمور به من قبل الله عزّ وجلّ إمّا أن يكون واجباً أو مستحبّاً، والمنهيّ عنه من قبله أيضاً إمّا أن يكون محرّماً أو مكروهاً، والمراد منهما في مقام الذنب، هو ترك الواجب وفعل المحرّم، وهذا في حدّه الأدنى مرتبة العوامّ، وأمّا الذنب الذي يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام والأولياء سواء في القرآن الكريم أو الروايات الشريفة أو الأدعية، فهو مرتبة أخرى أحدُ تفاسيرها ترك الأولى، لأنّهم يعتبرون أيّ التفات عن معبودهم وساحة قدسه ذنباً يستغفرون الله منه.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المعصومين مخلصون من قبل الله عزّ وجلّ، وقد حصّنهم بملكة نفسانيّة قويّة تمنعهم باختيارهم من ارتكاب المعصية، بل والتفكير بها أيضاً لعلمهم بقبحها ومدى خطورتها وتأثيرها.

ورغم ابتلاء الإنسان بالشيطان الّذي أقسم ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ ﴾[1]، إلّا أنّ الحقّ تعالى أجابه بأن لا سبيل لك على من تقرّب إليّ، واعتصم بي، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[3].

آثار الذنوب

إنّ من يلاحظ القرآن الكريم والروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يجد بوضوح آثاراً مهلكةً وخطيرةً للذنوب والمعاصي، في العوالم الثلاثة: عالم الدنيا، وعالم البرزخ، وعالم الآخرة.

وقبل الإشارة إلى بعضها لا بدّ من التذكير بأنّ الذنب بمثابة السمّ القاتل أو دون ذلك، والخطير في هذا المجال هو عدم ارتباط التأثير والهلاك بمسألة العلم والجهل، ولذا فإنّ من يرتكب الذنب يترتّب عليه الأثر الوضعيّ والتكوينيّ، ويؤثّر ذلك في قلبه وجسمه وماله وولده وغير ذلك، حتّى لو كان جاهلاً بأثر الذنب، تماماً كمن يجهل بأثر السمّ، وهذا ما يدعونا للابتعاد عن المعصية والحذر من آثارها.

أ - الآثار الدنيويّة

إنّ عالم الدنيا هو عالم الابتلاء والتكليف لعباد الله، الّذي يعدّ أحد أهداف خلق الإنسان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[4]، ولا يخلو حال الإنسان غير المعصوم عن الطاعة والمعصية، وقد وعدنا الله وتوعّدنا، بأنّ لكلٍّ منهما آثاره الخاصّة في الدنيا، فللطاعة آثارها وبركاتها العظيمة، الّتي تبعث الأمل في نفوس المؤمنين، وترغّبهم في العمل الصالح والإكثار منه. وفي

(١) سورة ص، الآية: ٨٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢.

مقابل ذلك فإنّ للمعصيــة والذنوب آثارها المهلكة أيضاً في الدنيا، لعلّ المطّلع عليها يحذر منها ويخاف من تبعاتها، فيحجم عنها ولا يقدم عليها.

وقـد أحصى علماء الأخـلاق أكثر من ستّين أثراً مهلـكاً وخطيراً للذنوب في الدنيا، من جملتها:

١- غضب الله:

وهــذا من الآثار المهلكة في الدنيا والآخرة كمــا سيأتي، والغضب هنا بمعنى عقــاب الله وعذابه، كما ورد فــي الرواية عن الإمام الباقــر عليه السلام عندما سأله عمرو بــن عبيد عن قوله تعالــى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[١] «**ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب**»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**مجاهرة الله بالمعاصي تعجّل النقم**»[٣].

٢- الدخول في ولاية الطاغوت:

فــإنّ عصيــان الله وإطاعة الشيطان توجــب دخول العبــد العاصي في ولايته وخروجــه من ولايــة الله، وقد يودي به إلى خروجه مــن الإيمان وإلى الكفر بالله عزّ وجلّ. ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٤].

٣- قسوة القلب:

والمراد بالقلب ذلك الجوهر الّذي تتقوّم به إنسانيّة الإنسان، وقد أودعه الله فينــا مفطوراً على التوحيد والعبوديّة والطاعة، طاهراً أبيضَ سليماً رقيقاً شفّافاً ليســ فيه أيّ نقصٍ وفســادٍ، لكن بارتكاب المعاصي والذنــوب والابتعاد عن الله

(١) سورة طه، الآية: ٨١.
(٢) الكافي، ج١، ص١١٠.
(٣) غرر الحكم، ص١٠٠.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

يقسو شيئاً فشيئاً، حتّى يصبح أشدّ قسوة من الحجارة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...﴾[1].

ويتحوّل إلى قلب أسود لا يفلح بعدها أبداً، ففي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادَ في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾**»[2]، «**وما من شيء أفسد للقلب من الخطيئة**»[3].

و«**ما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب**»[4] كما ورد في الأخبار عن المعصومين عليهم السلام.

٤- حرمان الرزق:

قد يكون الرزق معنويّاً كالتسديد والحفظ والتأييد والشهادة في سبيل الله. وقد يكون ماديّاً -كما هو المتبادر عند عامّة الناس- كالمال والطعام وغير ذلك.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5].

وفي الخبر: «**إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[6].

وورد أيضاً: «**إنّ العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق**»[7].

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص٢٧٣.
(٣) الأمالي للطوسي، ص٤٣٨.
(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٦، ص٤٥.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.
(٦) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٥، ص١٧٨.
(٧) الكافي، ج٢، ص٢٧٠.

والظاهر أنّه حرمان الزيادة في الرزق؛ لأنّ بعض الرزق مضمونٌ من قبل الله لكلّ مخلوق حيّ حتّى الفسّاق والكفرة والعصاة، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1]، لا حرمان أصل الرزق لهؤلاء لأنّه يعني قطع أصل الحياة وقبض أرواحهم.

وقد يكون الحرمان في رفع البركة من أرزاقهم وأموالهم وطعامهم، كما ورد في رواية الزهراء عليها السلام: «**ويرفع الله البركة من رزقه**»[2].

٥- نقصان العمر:

إنّ رأسمال الحياة الدنيا عند أهلها هو العمر الطويل والرزق الوفير، ولذا نرى أنّ غايتهم في هذا الزمان هي المحافظة على أبدانهم وصحّتهم ومأكلهم ومشربهم، ظنّاً في إطالة أعمارهم. أليست الأعمار والأرزاق بيد الله عزّ وجلّ؟! وقد دلّنا - سبحانه - على ما يوجب زيادة العمر والرزق ونقصانهما وعدم البركة فيهما، نحو برّ الوالدين وعقوقهما، وصلة الرحم وقطيعتها....

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**مَن يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال**»[3].

ويخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم عن هلاك الأمم السابقة، الذين ظلموا أنفسهم وعصوا الله، وطغوا في الأرض وقتلوا أنبياء الله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[4].

(١) سورة هود، الآية: ٦.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٨٠، ص٢٢.
(٣) م. ن، ج٥، ص١٤٠.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٣.

٦- زوال النِّعَم وحلول النِّقَم:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما أنعم الله على عبد نعمةً فسلبه إيّاها حتّى يذنب ذنباً يستحقّ بذلك السلب**»[٢].

٧- المرض:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أما إنّه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب، وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾**[٣] **ثمّ قال عليه السلام: وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به**»[٤].

٨- نسيان العلم:

وهو آفّة كبرى تعيد الإنسان إلى الجهل والغفلة، بعد أن كان عالماً ذاكراً، وما ذلك إلّا لذنب ارتكبه، فقد روي عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اتقوا الذنوب فإنّها ممحقة للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه...**»[٥].

٩- عدم استجابة الدعاء:

الذنب من موانع استجابة الدعاء، فقد ورد في بعض الروايات أنّه لا يُسمع

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص٢٧٤.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٤) الكافي، ج٢، ص٢٦٩.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠، ص٣٧٧.

ولا تُستجاب الحاجة، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك لا تقض حاجته، واحرمه إيّاها؛ فإنّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي**»[1].

١٠- عدم التوفيق للعبادة:

قد يُحرَم المذنب من ثواب العبادة وبركاتها، سيّما تكفير السيّئات، وتضاف سيّئته إلى سجل أعماله، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الرجل ليذنب الذنب فيُحرم صلاة الليل، وإنّ العمل السيّئ أسرع في صاحبه من السكّين في اللَّحم**»[2].

١١- فوات الغرض:

وقد يجترئ البعضُ على الله فيسعى نحو المعصية ويهمّ بها، لكنّه لا يقدر على ذلك، ولا ينال مبتغاه، قيل إنّ رجلاً كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً له: «**عظني بحرفين، فكتب إليه: من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوتَ لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر**»[3].

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٢٧١.
(٢) م. ن، ص٢٧٢.
(٣) وسائل الشيعة، المجلسي، ج١٦، ص١٥٣.

خلاصة الدرس

- المراد من الذنب: ترك الواجب وفعل الحرام.
- إنّ لارتكاب الذنوب، آثاراً هي بمثابة السمّ القاتل، والحاجز المانع للوصول إلى الله تعالى.
- إنّ عالم الدنيا هو عالم الابتلاء والتكليف لعباد الله، فالإنسان إمّا أن يكون مطيعاً لله، وهذا له آثاره وبركاته في بعث الأمل في نفوس المؤمنين، وإمّا يكون عاصياً لله، وهذا له أيضاً آثاره المهلكة، في الدنيا والآخرة.
- من الآثار العامّة الّتي تترتّب على فعل الذنب، قسوة القلب، والدخول في ولاية الطاغوت، وحرمان الرزق ونقصان العمر وغيرها.

أسئلة

١- بيّن معنى الذنب اللغويّ والاصطلاحيّ.

٢- عدِّد خمسة من الآثار الدنيويّة للذنوب وتحدّث عن واحدٍ منها.

سبع خصال للشهيد

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**للشهيد سبع خصال من الله:**

أوّل قطرة من دمه مغفورٌ له كلّ ذنب.

والثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة: يُكسى من كسوة الجنّة.

والرابعة: يبتدره خزنة الجنّة بكلّ ريحٍ طيّبة، أيّهم يأخذه معه.

والخامسة: أن يرى منزلته.

والسادسة: يُقال لروحه: اسرح في الجنّة حيث شئت.

والسابعة: أن ينظر في وجه الله، وإنّها لراحة لكلّ نبيّ وشهيد»[1].

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٥، ص١٦.

الدرس الثامن

آثار الذنوب البرزخيّة والأخرويّة

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب آثار الذنوب البرزخيّة.
- أن يتبيّن آثار الذنوب الأخرويّة.

ب - الآثار البرزخيّة

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

تقدّم، في الدرس السابق، ذكر أحد عشر أثراً دنيويّاً للذنوب، وفي هذا الدرس نتعرّض للآثار البرزخيّة والأخرويّة لها.

ما هو البرزخ؟

البرزخ هو الحاجز والحدّ الفاصل بين الشيئين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[2] فقد فُسّرت هذه الآية بأنّه الحاجز بين الماء المالح والماء العذب.

وقيل إنّ البرزخ هو الحدّ الفاصل بين الدنيا والآخرة، أو بين الموت والبعث، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وفي تفسير هذه الآية قال الإمام السجّاد عليه السلام: «**هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إنّ القبر لروضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار...**»[4].

(١) سورة يس، الآية: ١٢.
(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٩ – ٢٠.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦، ص١٥٩.

وقيـل إنّه الحاجز لهم من الرجوع إلى الدنيـا والإمهال إلى يوم القيامة، وكلّ هذه المعاني متقاربة ترجع إلى معنى واحد ظاهراً.

وقـد تحدّثت الروايات الـواردة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّـة الهداة عليهم السلام عن أحوال البرزخ وأهوال القبر وسوف نشير إلى أهمّها:

١ - ضغطة القبر:

حيث لا ينجو منها إلّا القليل القليل من عباد اللّه المؤمنين الصالحين. يروي أبو بصير قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال عليه السلام: نعوذ بالله منها، ما أقلّ ما يفلت من ضغطة القبر ... وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إلى السماء، ثمّ قال: مثل سعد يضمّ!...**»[١].

وورد فـي وصف شدّتهـا أنّ الأرض تضمّ الميت ضمّة تفـري اللحم، وتطحن الدماغ، وتذيـب الدهون، وتخلط الأضلاع، غير أنّ الشدّة والضعف فيها يدورانِ مدار قوّة الإيمان وضعفه أو عدمه عند الميت.

روي عـن الصـادق عن آبائه عليهم السلام قال، قال رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ضغطة القبر للمؤمن كفّارة لما كان منه من تضييع النعم**»[٢].

ومـن أهـمّ أسباب هـذه الضغطة سوء الخلق مـع الأهل، كمـا ورد في الخبر المتقدّم عن سبب ضغطة سعد، والنميمة وكثرة الكلام والتهاون في الطهارة.

وهـذه الضغطة لا تنحصر بالأرض فقط، بل ورد أنّ الهواء له ضغطة، والماء له ضغطة أيضاً.

(١) الكافي، الكليني، ج٣، ص٢٣٦.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦، ص٢٢١.

٢- سوء العذاب في القبر:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[١]، ويروى في تفسيرها عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «وإنّ المعيشة الضنك الّتي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر...»[٢].

وهذا العذاب يختصّ بغير المؤمنين المقرّبين؛ لأنّ قبر المؤمن روضة من رياض الجنّة، وأمّا الكافر فهو الذي قبره حفرة من حفر النيران، ينال فيه سوء العذاب. روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، قال في قبره، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، قال في الآخرة، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾، في الآخرة[٣].

٣- قرين السوء:

وهو العمل السيّئ الّذي يرافق الإنسان العاصي في قبره، ويكون معه إلى يوم حشره وحسابه.

يروى عن قيس بن عاصم أنّه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «... **يا قيس، لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لا يحشر إلّا معك، ولا تحشر إلّا معه، ولا تسأل إلّا عنه، ولا تبعث إلّا معه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن كان صالحاً لم تأنس إلّا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلّا منه، وهو عملك...**»[٤].

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦، ص٢١٨.
(٣) م. ن، ج٦، ص٢١٧.
(٤) م. ن، ج٧٤، ص١٧٧.

وروي عن الزهراء عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله في رواية التهاون في الصلاة أنّ من آثارها في القبر ثلاثة: «**وأمّا اللواتي تصيبه في قبره فأولاهنّ يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيّق عليه في قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره**»[1].

٤- الندم وطلب الرجوع:

ويا لها من حسرة ما بعدها حسرة، أن يستيقظ الإنسان من نومته وغفلته، فيرى نفسه ميتاً قد أُخذ إلى قبره «**الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا**»[2].

فيتحسّر على ما فرّط في جنب الله، ويسأل الله الرجعة إلى الدنيا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[3].

قال في إرشاد القلوب: «**إنّه يقول هذه الكلمة لما شاهده من شدّة سكرات الموت، وأهوال ما عاينه من عذاب القبر وهول المطّلع، ومن هول سؤال منكر ونكير، قال الله تعالى:** ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[4]»[5].

لمَ القيامة؟

وقبل الحديث عن آثار الذنوب الأخروية، لا بأس بالحديث عن الآخرة ويوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[6]، ويحشرون في ساحتها، وهو يوم عظيم مهول، بشّر الله فيه المؤمنين الصالحين بالأمن

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٣، ص٢٣.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤، ص٤٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ - ١٠٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٥) إرشاد القلوب، الديلمي، ج١، ص٥٦.
(٦) سورة المطففين، الآية: ٦.

والأمـان، وتوعّد الظالمين المجرمين سوء الحساب، يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

لقـد شـدّد الله عزّ وجلّ فـي القرآن الكريـم على مسألة المعـاد في عشرات السور القرآنيّة، حتّى قيل إنّ ثلث القرآن يرتبط بأحوال الآخرة وما بعدها...

نذكـر بعضاً ممّـا قاله في كتابه الكريـم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[3]، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[4].

وخلاصة الكلام أنّه بعد طيّ منازل الآخرة وعقباتها وصراطها، فإنّ المصير إمّـا إلى الجنّة أو إلى النار، وبيد الإنسـان تحديد المصير، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[5].

ج - الآثار الأخرويّة

لقـد أشـار الله في القـرآن الكريم وأهـل البيت عليهم السلام إلى آثـار كثيرة للكفر والعصيان والطغيان والذنوب في الآخرة، تحذيراً لنا من مغبّة الوقوع فيها، لعلّنا نرشد أو نعقل، فلا نكون من أصحاب السعير، سنقتصر على ذكر أهمّها:

١- الافتضاح:

إنّ الله يستر برحمته على المذنب في الدنيا، لعلّه يتوب ويرجع إلى ربّه، ولكنّ

(١) سورة المزمل، الآية: ١٧.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ١ -٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩ -٥٠.
(٥) سورة الروم، الآية: ٤٤.

الفضيحــة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأمام الخلــق أجمعين، سيّما أمام معارفــه وأقربائه، ورد في مناجاة أميــر المؤمنين عليه السلام قال: «**إلهي قد سترت عليّ ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الآخرة، إلهي قد أحسنت إذ لم تظهرها لأحد من عبادك الصالحين فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد...**»[1].

يقول العلّامــة المجلسي: «**وفي قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ شاهد، وهم الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك سرور للمحقّ وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم ...**»[2].

ولــذا ينبغي على العاقل أن يخاف هذا اليــوم، وأن يخاف الفضيحة أمام الله عزّ وجلّ وأمام الأنبيــاء والأئمّة والأولياء عليهم السلام، وأمام الناس أجمعين، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**وأمّا علامة الموقف فستّة:**

أيقن بالله حقّاً فآمن به.

وأيقن بأنّ الموت حقّ فحذره.

وأيقن بأنّ البعث حقّ فخاف الفضيحة.

وأيقن بأنّ الجنّة حقّ فاشتاق إليها.

وأيقن بأنّ النار حقّ فظهر سعيه للنجاة منها.

وأيقن بأنّ الحساب حقّ فحاسب نفسه»[3].

٢- المذلّة:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ

(١) مقطع من المناجاة الشعبانيّة.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧، ص١٦٢.
(٣) تحف العقول، الحراني، ص١٨.

قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

بدءاً بأخذ أرواحهم: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾[2].

إلى الوقوف في المحشر أذلّاء، سكارى غارقين في الحياء، يتصبّب العرق من وجوههم، ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾[3] و﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[4]، ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾[5].

إلى دخول النار: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[6]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾[7].

٣- الحسرة والندامة:

يتحسّر الظالم على الفترة والمهلة الّتي أعطيت له في الدنيا ولم يغتنمها، بل أعرض وتولّى وكذّب بآيات ربّه ورسله واليوم الآخر، وها هو اليوم أيقن به عين اليقين ولات حين مناص، فيقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[8]. ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[9].

(١) سورة النحل، الآية: ٢٧.
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٧.
(٣) سورة عبس، الآية: ٤٠.
(٤) سورة عبس، الآية: ٤١.
(٥) سورة المعارج، الآية: ٤٤.
(٦) سورة الدخان، الآية: ٤٩.
(٧) سورة فصلت، الآية: ١٦.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٥٦.
(٩) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ -٢٩.

٤- نسيان الله له:

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[١]، فلم تتذكّر أوامر الله ونواهيه، بل ونسيت وغفلت عن لقائه ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٢].

٦- عدم التشرّف بلقاء الله:

حيث إنّ الآيات والروايات تشير إلى تشرف المؤمن يوم القيامة بلقاء الله، ومحاسبة الله الرحيم بنفسه لعبده المؤمن، وأمّا غير المؤمنين من الكفّار والعاصين، فإنّ الله لا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ويوكل بهم ملائكة ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣].

ومن الآثار الأخرويّة أيضاً: غضب الله، اللعنة، سوء الحساب، طول الوقوف في المحشر، العذاب الأليم، تجسيم الأعمال، الحشر بصور قبيحة بشعة، دخول النار، الخلود في النار، مضافاً إلى صور ومشاهد وحالات العذاب في جهنّم الّتي يعجز عن وصفها الفكر البشريّ.

المحكمة الإلهيّة وشهود الآخرة

هناك محاكم عديدة تحاكم الإنسان في الدنيا، بدءاً بمحكمة النفس أو الضمير، ثمّ محكمة القانون ومحكمة المجتمع، ومحكمة التاريخ، إلّا أنّ الإنسان الطاغية والداهية الماكر باستطاعته التملّص والتخلّص منها جميعاً، بأساليبه الخدّاعة والمال والرشوة وشراء الشهود وتزوير الوقائع وإخفاء الأدلّة وغير ذلك ... .

لكن يقدّم في الآخرة ليحاكم أمام الله سبحانه، في محكمة العدل الإلهيّ،

(١) سورة طه، الآية: ١٢٦.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٣٤.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

حيث يكون القاضي والحاكم هو الله، والشهود كثر، والأدلّة حاضرة (تجسّم الأعمال)، والحاجة إلى الشهود والأدلّة والجواب عند إنكار الطغاة والعصاة، وأمّا المؤمن فلا يحتاج إلى ذلك؛ لأنّه يعترف أمام ربّه ويقرّ له، فيقول له ربّه: يا عبدي فعلت كذا. فيقول المؤمن: نعم يا ربّ، ويتكرّر منه الاعتراف حتّى يقول له الله قد غفرتها لك، وينقلب إلى أهله مسروراً.

وأمّا غير المؤمن فإنّ له سوء الحساب: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

خلاصة الدرس

إنّ عالم البرزخ هو الحدّ الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو عالم فيه آثار لذنوبنا، منها:

- ضغطة القبر وسوء العذاب فيه.
- قرين السوء (العمل السيِّئ).
- الندم والحسرة.

وإنّ عالم الآخرة هو يوم الحساب والميزان، وهول الموقف، وهو عالم أيضاً فيه آثار لذنوبنا، منها:

- افتضاح ذنوب المذنبين بعد سترها في الدنيا.
- المذلّة والحسرة.
- ينساه الله بعدما نسي العبد ربّه في الدنيا.

أسئلة

١- ما معنى البرزخ؟

٢- عدِّد بعضاً من الآثار البرزخيّة للذنوب، وتحدّث عن أثر منها.

٣- عدِّد بعضاً من الآثار الأخرويّة للذنوب، وتحدّث عن أثر منها.

المبادرة إلى صالح الأعمال

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال قال:

«فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحّلوا فقد جدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنّة أو النار إلّا الموت أن ينزل به، وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدّة، وإنّ غائباً يحدوه الجديدان، الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة، وإنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة، لمستحقّ لأفضل العدّة، فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً، فاتقى عبدٌ ربه، نَصَحَ نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته، فإنّ أجله مستورٌ عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه بالتوبة ليسوّفها، إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى الشقوة. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامةٌ، ولا كآبة»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٦٤، ص٩٥.

الدرس التاسع

تهذيب اللسان

(الغِيبة)

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى مقامي الظاهر والباطن في النفس الإنسانيّة.
- أن يتبيّن وظيفته الإيمانيّة في أدب جوارحه، ومنها اللسان.
- أن يتبيّن خطر اللسان وكيفيّة التحكّم به.
- أن يتبيّن خطر الغِيبة وأثرها.

مقامات النفس الإنسانيّة

إنّ للنفس الإنسانيّة في جهاد النفس مقامين، مقام الظاهر ومقام الباطن، والجهاد في كلا المقامين مختلف عن الآخر، ولتوضيح ذلك لا بدّ من أن نتعرّف – ولو إجمالاً – على معنى هذين المقامين وما يتميّزان به من بعضهما البعض.

المقام الأوّل «الباطن»

وهو المقام الّذي ينبغي التنبّه له جيّداً، وهو الّذي أشار إليه الإمام الخميني قدس سره في «**الأربعون حديثاً**» بقوله: «**اعلم أنّ للنفس الإنسانيّة مملكة ومقاماً آخر، وهي مملكتها الباطنيّة ونشأتها الملكوتيّة، وفيها تكون جنود النفس أكثر وأهمّ ممّا في مملكة الظاهر، والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمانية والشيطانية أعظم والغلبة والانتصار فيها أشدّ وأهمّ، بل وإنّ كلّ ما في مملكة الظاهر قد تنزّل من هناك وتظهّر في عالم المُلك، وإذا تغلّب أيّ من الجند الرحمانيّ أو الشيطانيّ في تلك المملكة، يتغلّب أيضاً في هذه المملكة. وجهاد النفس في هذا المقام مهمّ للغاية عند المشايخ العظام من أهل السلوك والأخلاق، بل ويمكن اعتبار هذا المقام منبع جميع السعادات والتعاسات، والدرجات والدركات**»[1].

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، جهاد النفس، المقام الثاني.

إنّ ظاهر الإنسان يمكن إصلاحه بالتوبة والندم عن سوء العمل، إلا أنّ الباطن وسوء السريرة قد يصلان بالإنسان إلى مرحلة تجعله غير قابل لنزول الرحمة الإلهيّة عليه من قبيل الشفاعة أو الصفح الإلهيّ، فيصبح مصداق الآية الشريفة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

فرحمة الله تعالى كالشمس المشرقة على العالم، فبإمكان كلّ من أراد أن يستقبل نورها بقدر ما يزيل من المعوّقات من أمامها، ورحمة الله تعالى كذلك مشرقة على كلّ المخلوقات إلا أنّ كلّ فرد بإمكانه الاستفادة منها بحسبه وبقدر ما يرفع من الموانع، أي الحجب النفسيّة الّتي تخلّفها المعاصي وحبُّ الدنيا وحبُّ الأنا.

وقد تقدّم معنا الحديث في درس سابق عن المعركة الكبرى فإنّ ما أردناه منها هو المعركة الّتي تحصل في مقام الباطن.

المقام الثاني «الظاهر»

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره عن هذا المقام في كتابه الأربعون حديثاً ما ملخّصه:

اعلم أنّ مقام النفس الأوّل ومنزلها الأدنى والأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما، فتكون ساحة معركة النفس وجهادها نفس هذا الجسد، وجنودها هي قواه الظاهريّة السبع وهي: «**الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل**». وتكون جميع هذه القوى تحت تصرّف النفس في مقام الوهم، فإذا تحكّم الوهم بتلك القوى، سواء بذاته مستقلاً أو بتدخّل الشيطان، جعلها -أي تلك القوى- جنوداً للشيطان، وبذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان،

(١) سورة البقرة، الآية:٨١.

وتنهـزم عندهـا جنود الرحمـن والعقل، وتتـوارى وتخرج من نشـأة الملك (أي المادّة) وعالم الإنسان وتهاجر عنه، وتصبح هذه المملكة خاصّة بالشيطان.

وأمّـا إذا خضـع الوهم لحكم العقل والشرع، وكانـت حركاته وسكناته مقيّدة بنظـام العقل والشرع، فقد أصبحت هذه المملكة مملكة روحانيّة وعقلانيّة، ولم يجد الشيطان وجنوده محطّ قدم لهم فيها.

إذاً، يكـون جهاد النفس في هـذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهريّـة، وجعلها مؤتمـرة بأمر الخالق، وعن تطهيـر المملكة من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده.

وبناء على هذا، فعلى المؤمن السالك إلى الله تعالى، في هذا المقام أي مقام الظاهـر، أن يلتفـت بكلّ ما أوتي من حكمـة ودراية للأحكام الإلهيّـة الّتي تتعلّق بقواه الّتي أودعها الله تعالى فيه، وهذا ما يسمّى بأدب الجوارح وسيأتي الحديث عنه.

أدب الجوارح

إنّ وظيفة المرء في هذا المقام تكون بحمل الظاهر على التأدّب بأدب الشريعة مـن التنزيـه لهذه الجـوارح عمّا يخالـف الأوامـر الإلهيّة، وتحليتهـا بالخصال الحسنة والمحمودة وسنتطرّق في هذا الدرس إلى الجارحة الأولى وما ينبغي أن تنزّه عنه وتحلّى به، وهو اللسان.

اللسان طريقٌ إلى الله

إنّ اللسـان، وهـو القطعـة اللحميّـة الصغيـرة الحجـم، سبـب رئيس في دخـول جـلّ أهل النـار إليهـا وكذا جـلّ أهل الجنّـة إليهـا؛ لأنّ اللسـان وإن كان صغيـر الحجـم إلّا أنّـه كما قـال بعض الحكمـاء «**صغير الحجـم كبير الجـرم**»، وعن الإمـام الباقر عليه السلام: «**إنّ هـذا اللسان مفتـاح كلّ خير وشرّ**،

فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضّته»[1].

إنّ اللِّسان من النعم العظيمة الّتي منَّ الله تعالى بها على الإنسان، قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[2]، وفي الحديث عن الإمام عليّ ابن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه سئل عن الكلام والسكوت أيّهما أفضل؟ فقال: «**لكلّ واحد منهما آفّات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذاك يا بن رسول الله؟**

فقال: لأنّ الله عزَّ وجلَّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنّما بعثهم بالكلام، ولا استُحقّت الجنّة بالسكوت، ولا استُوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وُقيت النار بالسكوت، ولا تُجنّب سخطُ الله بالسكوت، إنّما ذلك كلّه بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنّك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»[3].

ومن وصيّة الإمام عليّ عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفيّة:

«**وما خلق الله عزَّ وجلَّ شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه، بالكلام ابيضّت الوجوه، وبالكلام اسودّت الوجوه، واعلم أنّ الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فإنّ اللسان كلب عقور فإن أنت خلّيته عقر، وربّ كلمة سلبت نعمة...**»[4].

خطر اللسان في الروايات

وفي المقابل حذّرت الكثير من الروايات من الخطر الكبير الّذي يسبّبه

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٢٧٧٧.
(٢) سورة البلد، الآيتان:٨-٩.
(٣) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج١٢، ص١٨٨.
(٤) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٤، ص٣٨٧.

اللسان لصاحبه إذا لم يجعله مطواعاً لعقله، ففي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: «**زلّة اللسان أشدّ هلاك**»[1] وفي رواية أخرى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[2]، ولذا نرى الكثير من الروايات الّتي تحبّذ الصمت حين لا يكون هناك أيّ داع للكلام، فكما أنّ الكلام في مورده جميل ومطلوب فإنّ الصمت في مورده جميل ومطلوب أيضاً، بل دعت إليه الروايات الكثيرة منها:

ما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمسك لسانك، فإنّها صدقة تصدّق بها على نفسك**»[3].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**احبس لسانك قبل أن يُطيلَ حبسك ويردي نفسك، فلا شيء أولى بطول سجن من لسان يعدل عن الصواب ويتسرّع إلى الجواب**»[4].

وفي رواية أخرى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّى يخزن من لسانه**»[5].

الميزان في التحكّم باللسان

بعد أن عرفنا مخاطر اللسان ومنافعه، لا بدّ من أن نبحث عن الضابطة الّتي تحدّد لنا كيفيّة التحكّم بهذا اللسان، وليس لنا في ذلك إلّا أن نرجع إلى أئمّة الهدى ومصابيح الدجى الّذين أناروا لنا الدروب المظلمة، ودلّونا على الحيل الّتي ينتهجها الشيطان بغية إزالتنا عن الصراط المستقيم، وقد أشار أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار إلى أمرين أساسين:

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٢٧٧٩.
(٢) م.ن، ج٤، ص٢٧٨١.
(٣) م.ن، ج٤، ص٢٧٨٠.
(٤) م.ن، ج٤، ص٢٧٨٠.
(٥) م.ن، ج٤، ص٢٧٨١.

١- أن يأتمر اللسان بأوامر العقل الّذي جعله الله تعالى نبيّاً باطنيّاً في الإنسان، فحينما يحكّم الإنسان العقل في هذه الجارحة يكفّ بذاك أذاها ويمنعها من رداها، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**اللسان معيار أرجحه العقل وأطاشه الجهل**»(١).

٢- أن يتأدّب اللسان بما أمر الله تعالى به الإنسان من الأوامر، وينتهي عمّا نهاه الله تعالى من المحرّمات، ولا أفضل من قول الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق: «**حقُّ اللسان إكرامه عن الخنا، وتعويده الخير، وترك الفضول الّتي لا فائدة لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم**»(٢). فهذه مفاهيمُ أساس سلَّط الإمام السجّاد عليه السلام عليها الضوء مريداً منها أن يرشدنا إلى حقّ اللسان بأن نؤدّبه بما أمرنا به الله تعالى، وأمّا تفصيل هذه المفاهيم فيأتي في الدرس اللاحق إن شاء الله تعالى، والحمد لله ربّ العالمين.

الغِيبة

الغيبة هي ذكر عيوب الإنسان في غَيبته للانتقاص منه. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة حجّة الوداع: «**أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إنّ الله حرّم الغِيبة كما حرّم المال والدم**»(٣).

إنّ تأكيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على حرمة الغِيبة في حجّة الوداع الّتي تضمّنت أهمّ التعاليم الأخلاقيّة، يدلّل بشكل كبير على مدى خطورتها على الأخلاق الإنسانيّة، ولو تأمّلنا ما جاء من الأحاديث الشريفة الّتي تتحدّث عنها لعلمنا مدى خطر هذه السيّئة الكبيرة، ومن هذه الروايات ما ورد عن أمير

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٢٧٧٦.
(٢) م. ن، ج٤، ص٢٧٧٨.
(٣) م. ن، ج٣، ص٢٣٢٨.

المؤمنين عليه السلام: «**الغيبة آية المنافق**»[1]، وعنه عليه السلام أيضاً: «**الغيبة شرّ الإفك**»[2]، وعنه عليه السلام أيضاً: «**من أقبح اللؤم غيبة الأخيار**»[3].

وتكون الغيبة أخطر حينما تحمل فتنة بين المؤمنين، وكما في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ فلانا ينسبك إلى أنّك ضالّ مبتدع، فقال له عليه السلام: «**ما رعيت حقّ مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدّيت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه!... إيّاك والغيبة فإنّها إدام كلاب النار، واعلم أنّ من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه**»[4].

خلاصة الدرس

- إنّ تأكيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على حرمة الغيبة في حجّة الوداع الّتي تضمّنت أهمّ التعاليم الأخلاقيّة، يُدلّل بشكل كبير على مدى خطورتها على الأخلاق الإنسانيّة.
- إنّ للنفس الإنسانيّة في جهاد النفس مقامين، مقام الظاهر ومقام الباطن، والجهاد في كلا المقامين مختلف عن الآخر.
- الكلام في الجوارح وأدبها هو كلام في مقام الظاهر؛ لأنّ جنود مقام الظاهر سبعة وهي: «**الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل**».
- جوارح الإنسان، وإن كانت مؤتمرة بأمر العقل والشهوة أو غيرهما من قوى النفس إلّا أنّها هي الفاعلة، وينسب إليها العمل في مقام الظاهر.

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢٣٢٨.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن، ص٢٣٢٩.

- إنّ وظيفة المرء في هذا المقام تكون بحمل الظاهر على التأدّب بأدب الشريعة من التنزيه لهذه الجوارح عمّا يخالف الأوامر الإلهيّة، وتحليتها بالخصال الحسنة والمحمودة.
- حذّرت الكثير من الروايات من الخطر الكبير الّذي يسبّبه اللسان لصاحبه إذا لم يجعله مطواعاً لعقله.
- لقد أشار أهل البيت عليهم السلام إلى كيفيّة التحكّم باللسان من خلال أمرين أساسين:

١- أن يأتمر اللسان بأوامر العقل الّذي جعله الله تعالى نبيّاً باطنيّاً في الإنسان.

٢- أن يتأدّب اللسان بما أمر الله تعالى به الإنسان من الأوامر وينتهي عمّا نهاه الله تعالى من المحرّمات.

- لا بدّ للمؤمن من أن ينزّه لسانه عن الغيبة لحرمتها ولما تشكّله من خطر على الحياة الإنسانيّة.

أسئلة

١- ما هي مقامات النفس؟

٢- ما الفرق بين مقامات النفس؟

٣- تحت أيّ من مقامات النفس يندرج أدب الجوارح؟

٤- ما هو الميزان في استخدام اللسان؟

٥- ما هي الغِيبة وأين مكمن الخطر فيها؟

مكر الشيطان في الغِيبة

من كلام الشهيد الثاني رضوان الله عليه:

«ومن أضرّ أنواع الغيبة، غيبة المتّسمين بالفهم والعلم المرائين فإنّهم يفهمون المقصود إلى صفة أهل الصلاح والتقوى ليظهروا من أنفسهم التعفّف عن الغيبة، ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنّهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الّذي لم يَبْتَلنَا بحبّ الرياسة أو حبّ الدنيا أو بالتكيف بالكيفيّة الفلانيّة، أو يقول نعوذ بالله من قلّة الحياء أو من سوء التوفيق، أو نسأل الله أن يعصمنا من كذا، بل مجرّد الحمد على شيء إذا علم منه اتصاف المحدّث عنه بما ينافيه ونحو ذلك فإنّه يغتابه بلفظ الدعاء وسَمْت أهل الصلاح، وإنّما قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء، ودعوى الخلاص من الرذائل، وهو عنوان الوقوع فيها، بل في أفحشها، ومن ذلك أنّه قد يُقدّم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصّر في العبادات، ولكن قد اعتراه فتور وابتُلي بما يُبتلى به كلّنا وهو قلّة الصبر فيذكر نفسه بالذمّ، ومقصوده أن يذمّ غيره، وأن يمدح نفسه بالتشبّه بالصالحين في ذمّ أنفسهم فيكون مغتاباً مرائياً، مزكّياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظنّ بجهله أنّه من الصالحين المتعفّفين عن الغيبة، هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم والعمل من غير أن يتقنوا الطريق فيتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم.

ومن ذلك أن يذكر ذاكر عيب إنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول

سبحان الله ما أعجب هذا! حتّى يُصغي الغافل إلى المغتاب ويعلم ما يقوله، فيذكر الله سبحانه، ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وباطله وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً، ومن ذلك أن يقول جرى من فلان كذا وابتلي بكذا، بل يقول جرى لصاحبنا أو صديقنا كذا، تاب الله عليه وعلينا، يظهر الدعاء له والتألّم والصداقة والصحبة والله مطّلع على خبث سريرته وفساد ضميره، وهو بجهله لا يدري أنّه قد تعرّض لمقت أعظم ممّا يتعرّض له الجهّال إذا جاهروا بالغيبة.

ومن أقسامها الخفيّة الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب فإنّه إنّما يُظهر التعجّب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيزيد فيها، فكأنّه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق، فيقول عجبت ممّا ذكرته، ما كنت أعلم بذلك، إلى الآن ما كنت أعرف من فلان ذلك، يريد بذلك تصديق المغتاب، واستدعاء الزيادة منه باللطف، والتصديق لها غيبة، بل الإصغاء إليها، بل السكوت عند سماعها». انتهى كلامه رفع مقامه.

الدرس العاشر

تهذيب اللسان

(النميمة -الكذب -الفحش)

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى معنى النميمة ومخاطرها.
- أن يعدّد آثار الكذب.
- أن يتبيّن أوصاف الإنسان الفاحش.

النميمة وآثارها

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[1].

النميمة مرض نفسيّ لسانيّ قاتل وخطير، وهي تعني: «**نقل قول الغير إلى المقول فيه سواء بالتكلّم أو الكتابة أو الإشارة أو الرمز**»[2].

وهي المصداق البارز لإشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن، لما فيها من الفساد والإفساد.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**»[3][4].

وعنه عليه السلام قال: «**وإنّ من أكبر السحر النميمة، يفرّق بها بين المتحابّين، ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور ويكشف**

(١) سورة القلم، الآيات: ١٠- ١٣.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٦، ص١٨٠.
(٣) سورة النور، الآية: ١٩.
(٤) الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٥٧.

بها الستور، والنمّام أشرّ من وطىء الأرض بقدم»[1].

وينبغي لكلّ من حُملت إليه النميمة:

١- عدم التصديق: وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[2].

٢- التبيّن قبل ترتيب الأثر لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[3].

٣- أن ينهاه عن ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4].

٤- أن يبغضَه في الله إذا علم منه معرفته بعمله وإصراره على فعله؛ لأنّه ملعون بعيدٌ عن الله. ورد في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الضغينة وتبعد عن الله**»[5].

٥- أن لا تظنّ بأخيك السوء: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[6].

٦- أن لا يحملك القول فيك على التجسّس ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[7].

٧- أن لا ترضى لنفسك ما نُهيت عنه، فتقع فيما وقع فيه غيرك.

ومن الجميل أن نتعلّم من أهل البيت عليهم السلام كيفيّة التعاطي مع النمّام.

حيث روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه أتاه رجل يسعى إليه برجلٍ، فقال له عليه السلام: «**يا فلان نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، قال: أقلني يا أمير المؤمنين**»[8].

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٩، ص١٥١.
(٢) سورة القلم، الآيتان: ١٠ و١١.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٥) غرر الحكم، الآمدي، ص٢٢٢.
(٦) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.
(٧) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.
(٨) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٧٠.

آثار النميمة الدنيويّة والأخرويّة

١- الحقد والضغينة:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الضغينة**»[١].

وعن الإمام جعفر عليه السلام: «**إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال**»[٢].

٢- غضب الله وهتك الستر:

من كتاب الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي والي الأهواز، قال له: «**إيّاك والسعاة وأهل النمائم، فلا يلتزقن بك أحدٌ منهم، ولا يراك الله يوماً وليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك**»[٣].

٣- شرار خلق الله:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب**»[٤].

٤- عذاب القبر:

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**عذاب القبر يكون من النميمة**»[٥].

٥- عدم دخول الجنّة:

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يدخل الجنّة نمّام**»[٦].

(١) غرر الحكم، الآمدي، ص٢٢٢.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٥، ص٢٠٢.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٧، ص٢٠٧.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٢، ص٢١٢.
(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١، ص٣٣٩.
(٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٢، ص٢٦٨.

عبدٌ نمّام

باع أحدهم عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلّا النميمة قال رضيت به.

فمكث الغلام أيّاماً ثمّ قال لزوجة مولاه: إنّ زوجك لا يحبّك ويريد أن يتسرّى[١] عليك فخذي بعض الشعر منه لأسحره لك.

ثمّ قال للزوج: إنّ امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك فتناوم[٢] لها حتى تعرف.

فتناوم فجاءته امرأته تحمل سكّيناً فظن أنّها تقتله فقتلها، وجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين.

نزّه لسانك عن الكذب

الكذب من أسوأ الذنوب الّتي يمكن للعبد أن يرتكبها، والكذّاب يفقد ثقة الناس به لأنّ العلاقات الاجتماعيّة السليمة الّتي يبتغيها الناس هي العلاقات القائمة على الصدق، وقد كثرت الآيات والروايات الّتي تحذّر من الكذب مبيّنة مبغوضيّته عند الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٣]، وهذا ما أكّدته الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إيّاكم والكذب، فإنّ الكذب مجانب للإيمان**»[٤].

وفي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعظم الخطايا اللسان الكذوب**»[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به**»[٦].

(١) يتسرى: أي السرية وهي الزوجة الجارية مقابل الزوجة الحرة.
(٢) فتناوم: تصنع النوم.
(٣) سورة النحل، الآية:١٠٥.
(٤) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢٦٧٤.
(٥) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٢.
(٦) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٣.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**الكذب شَيْن الأخلاق**»[1].

الاستخفاف بالكذب

هنـاك نماذج مـن الكذب قد يستخفّ بهـا الإنسان ويعتبرها غيـر سيّئة وقد يعطيهـا تسميـات لتخفيفها كاسم كذبـة بيضاء أو كذبة أوّل نيسـان... وقد أكّد الإسلام على رفض ذلك وعدم استسهال الكذب بجميع مسمّياته، وفي رواية عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمّي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: هـا تعال أعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مـا أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيـه تمراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما إنّك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**»[2].

حتّـى إنّ الروايات الشريفـة أكّدت على أن يكون الإنسـان حريصاً فيما ينقل مـن الكلام الّـذي يسمعه من الآخرين، فعن الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**حسبك من الكذب أن تحدّث بكلّ ما سمعت**»[3]، وفي رواية أخرى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سألته أسماء بنت يزيد: إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه، يعدّ ذلك كذباً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الكذب يكتب كذباً حتّى تكتب الكُذَيْبة كُذَيْبَة**»[4].

آثار الكذب

إنّ للكذب آثاراً على الإنسان المسلم، منها:

١- الحرمان من الهداية: فـإنّ الكذب يحرمه من نعمـة الهداية كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك، يقـول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٦٧٣.
(٢) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٥.
(٣) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٦.
(٤) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٥.

كَفَّارٌ ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾[2].

٢- **ينبت النفاق:** يقول الله تعالى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[3].

٣- **المهانة في الدنيا والآخرة:** فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة**»[4]، وأمّا سبب العذاب في الآخرة فلأنّ الكذّاب سيظهر كذبه أمام الملأ، وسيجرّ إلى جهنّم كما وعده الله تعالى، وأمّا المهانة في الدنيا فلأنَّ الكذب يذهب بهيبة الإنسان وبهائه، إذ إنّ الكاذب منبوذ بين الناس ويشيرون إليه بالأصابع لعدم ثقتهم به، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من عُرف بالكذب قلّت الثقة به، من تجنّب الكذب صدقت أقواله**»[5].

٤- **قلّة التوفيق من الله تعالى لأداء السنن:** ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل**»[6].

٥- **نقصان الرزق:** فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الكذب ينقص الرزق**»[7]، وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**اعتياد الكذب يورث الفقر**»[8].

نزّه لسانك عن الفحش من القول

من العادات القبيحة الّتي لا ينبغي أن تكون في الإنسان المؤمن: الفحش

(١) سورة الزمر، الآية:٣.
(٢) سورة غافر، من الآية: ٢٨
(٣) سورة التوبة، الآية:٧٧.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٢٠٩.
(٥) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢٦٧٧.
(٦) م. ن، ج٣، ص٢٦٧٨.
(٧) م. ن.
(٨) م. ن.

وبـذاءة اللســان، والفحش هــو أن يستعمــل الإنسان الألفاظ القبيحــة في السبّ والشتم وغيرها من المقالات السيّئة، وقد ذمّ الله تعالى هذا الصنف من الناس فــي كتابه العزيز حيث قال: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٩]، ومعنى الآية الشريفة كما روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**هو الفاحش اللئيم**»[١٠].

وقد وصفت الروايات الشريفة الإنسان الفاحش بأوصاف كثيرة منها:

أ- أنّه مبغوض لدى الله تعالى، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش**»[١١].

ب- السفيه، ففــي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: «**أسفــه السفهاء المتبجّح بفحش الكلام**»[١٢].

ج- من أهل النار، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من خاف الناس لسانه فهو في النار**»[١٣].

د- مــن شرّ الناس، فعــن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ من شــرّ الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**»[١٤].

إلــى أوصــاف أخرى تدلّــل على مدى قبح هــذه الصفة، نســأل الله تعالى أن ينزّهنا عن النقائص والعيوب، إنّه نعم الموفّق والمعين.

(٩) سورة القلم، الآية:١٣.

(١٠) ..... ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٣، ص٢٣٧٧.

(١١) ..... م.ن، ج٣، ص٢٣٧٦.

(١٢) ..... م. ن.

(١٣) ..... م. ن.

(١٤) ..... م. ن.

خلاصة الدرس

- إنّ للسان أمراضاً عديدة، منها مرض (النميمة) ذو الآثار الفاسدة والمفسدة في المجتمع.
- إنّ من آثار النميمة في الدنيا شيوع الفاحشة، وتنامي الحقد والضغينة بين المؤمنين، أما في الآخرة فلا يدخل النمّام الجنّة.
- إنّ الكذب من أخطر الذنوب، حتّى إنّ ما يعد به الإنسان أطفاله ولا يأتيهم به يعدُّ كذباً.
- من آثار الكذب: الحرمان من الهداية، ينبت النفاق، المهانة في الدنيا والآخرة، ينقص الرزق.
- من قبائح اللسان الفحش والبذاءة، والفحش هو أن يستعمل الإنسان الألفاظ القبيحة في السبّ والشتم وغيرها من الألفاظ القبيحة، وقد ذمّ الله تعالى هذا الصنف من الناس.

أسئلة

١- ما هي آثار النميمة؟

٢- هل هناك كذب أبيض وكذب أسود؟

٣- ما هي آثار الكذب؟

٤- ما المقصود من الفحش؟

٥- بماذا وُصف الفاحش في الروايات؟

أسر الشهوات

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

إنّ الإنسان العاقل الروؤف بنفسه لا بدّ له من السعي واللجوء إلى كلّ سبيل لإنقاذ نفسه من الأسر، والنهوض أمام النفس الأمّارة والشيطان الباطنيّ، ما دامت الفرصة سانحة، وقواه الجسديّة سالمة، وما دام على قيد الحياة وفي صحّة موفورة وفتوّة موجودة، ثمّ يراقب حياته فترة من الوقت، ويتأمّل في أحوال نفسه وأحوال الماضين، ويتمعّن في سوء عاقبة بعضهم ويُفهم نفسه أنّ هذه الأيّام القليلة تبلى، ويوقظ قلبه ويفهمه الحقيقة التالية المنقولة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث خاطبنا قائلاً: «**الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَة**» فلو أنّنا لم نزرع في هذه الأيّام المعدودة، ولم نعمل عملاً صالحاً، لفاتتنا الفرصة، وإذا غشينا الموت، وحلّ العالم الآخر، لانقطعت أعمالنا جميعاً وذهبت آمالنا نهائيّاً، وإذا جاء ملك الموت ونحن لا نزال عبيد الشهوات وأسارى قيود أهواء النفس المتشعّبة - والعياذ بالله - لكان من الممكن للشيطان أن يسرق إيماننا الّذي هو غايته القصوى وأن يحتال ويتراءى أمام قلبنا بصورة نخرج من الدنيا ونحن أعداء الحقّ المتعالي والأنبياء والأولياء، والله سبحانه أعلم ماذا وراء هذا الحجاب من الشقاوات والظلمات والوحشة؟.

فيا أيّتها النفس الدنيئة ويا أيّها القلب الساهي، استيقظا وانهضا أمام هذا العدوّ الّذي ألجمكما منذ سنين، وربطكما بأغلال الأسر وقادكما إلى كلّ جهة حيث يريد، ودفع بكما إلى كلّ عمل قبيح وسلوك بشع وأجبركما عليه، وحطِّما هذه القيود، وكسِّرا هذه السلاسل.

وكن أيّها الإنسان حرّاً، وادفع عن نفسك الذلّ والهوان، وضع في رقبتك طوق العبوديّة للحقّ جلّ جلاله حتّى تتحرّر من كلّ عبوديّة وترقى إلى السلطة الإلهيّة في العالمين.

أيّها العزيز، على الرغم من أنّ هذا العالم ليس بدار الجزاء والمكافأة وليس بمحلّ لظهور سلطة الحقّ المتعالي، وإنّما هو سجن المؤمن، فلو تحرّرت من أسر النفس، وأصبحت عبداً للحقّ المتعالي، وجعلت القلب موحّداً وأجليت مرآة روحك من غبار النفاق والإثنينيّة، وأرسلت قلبك إلى النقطة المركزيّة للكمال المطلق لشاهدت بعينك آثار ذلك في هذا العالم ولتوسّع قلبك بقدر يغدو محلّاً لظهور السلطنة التامّة الإلهيّة حيث تصير مساحتها أوسع من جميع العوالم «**لا يَسعُني أَرْضي وَلاَ سَمَائي وَلكنْ يَسَعُني قَلْبُ عَبْدي المُؤْمن**» ولشعرت غنى واضحاً في النفس، حيث لم تعبأ بكلّ العوالم الغيبيّة والماديّة، ولأصبحت إرادتك قويّة حيث لم تفكّر في عالَمَي المُلك والملكوت ولم تجد لهما اللياقة لاحتضانك...

الدرس الحادي عشر

تهذيب العين

(النظر الحرام)

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب أهميّة العين وعلاقتها بالقلب.
- أن يتبيّن آثار النظر المحرّم على قلبه وعمله.
- أن يتعرّف إلى كيفيّة معالجة آفّة النظر الحرام.

العيـن هي نعمة إلهيّة كبرى للإنسـان، إذ يبصر بها ما حوله من المخلوقات والأشيـاء فيستثمرهـا، وبهـا يقـرأ الكتب ويـرى الآخريـن ويرى جمـال الكون وعجائبـه، إلا أنّهـا ومع كلّ هذا فقد تكـون وبالاً على الإنسان فـي آخرته إذا لم يحسن استخدامها ضمن الحدود الّتي وضعها الله تعالى لها، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**كم من نظرة جلبت حسرة**»[1].

ارتباط العين بالقلب

إنّ كلّ ما تمعن به العين النظر لا بدّ وأن تنطبع صورته في عقل الإنسان وقلبه، ويتـرك آثاراً في روحيّتـه ونفسيّته، حتّى لـو نسيه في فترات معيّنـه، إلّا أنّ آثاره الباطنيّـة قد تبقى لتؤثّر بشكل غير مباشـر، أو لتتفعّل في أوقات وظروف معيّنة، ولـذا فإنّ هذا الأمر خطيـر على الإنسان، فالعين هي مـن أبواب حصن النفس، وفتح هذا الباب ليدخل منه كلّ صالح وطالح إلى النفس النظيفة سيتسبّب بتلوّثها، ولـذا ورد عـن الإمام علـيّ عليه السلام: «**العيون طلائـع القلوب**»[2] ويقـول تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٣٢٨٩.
(٢) م. ن، ج٤، ص٣٢٨٨.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾[1].

النظر المحرَّم

وقد أكّدت الكثير من الروايات الشريفة على خطورة هذا النظر على روح الإنسان المؤمن وقلبه، لدرجة أنّها تفسد الإيمان وتنسي الآخرة والحساب، ففي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «**إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة**»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه: إيّاكم والنظرة فإنّها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه**»[3].

عواقب النظر المحرّم

إنّ جزاء النظر المحرّم عند الله تعالى شديد جدّاً بحيث إنّ بعض الروايات عبّرت عن صور عجيبة للّذي يملأ عينيه من النظر الحرام ومن هذه العواقب:

١- **يملأ عينيه ناراً:** ففي الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلّا أن يتوب ويرجع**»[4].

٢- **الحسرة يوم القيامة:** فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**كم من نظرة جلبت حسرة**»[5]، والله أعلم بمقدار هذه الحسرة والندامة الّتي ستعتري الإنسان يوم القيامة حين يرى النعيم ويُمنع منه لأجل نظرة إلى حرام،

(١) سورة النور، الآيتان:٣٠-٣١.
(٢) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٣٢٨٨.
(٣) م. ن.
(٤) م. ن، ج٤، ص٣٢٩١.
(٥) م. ن، ج٤، ص٣٢٨٩.

يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[1].

٣- **الغضب الإلهيّ:** فعن الرسول الأكرم ﷺ: «**اشتدّ غضب الله عزَّ وجلَّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير ذي محرم منها**»[2].

آثار غضّ البصر

كما أنّ للنظر إلى الحرام عواقب قد ذكرنا بعضاً منها فإنّ لغضّ البصر عن محارم الله تعالى آثاراً حميدة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآثار:

١- **حلاوة العبادة:** فإنَّ الشيطان يسعى جاهداً ليوقع الإنسان في المحرّمات، الّتي يسهل الوقوع بها تحت ضغط الشهوات، كالنظر المحرّم، فعندما ينتصر الإنسان على شيطانه بعد جهاد النفس يجد حلاوة الانتصار من جهة ويزداد إيمانه رسوخاً وقلبه نوراً من جهة أخرى، كما يحصل للجيوش الّتي أنهكها التعب بعد انتصارها، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم ينظر امرأة أوّل رمقة ثمّ يغضّ بصره إلّا أحدث الله تعالى له عبادةً يجد حلاوتها في قلبه**»[3].

٢- **راحة القلب:** ففي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «**من غضّ طرفه أراح قلبه**»[4]، ولعلّ راحة القلب تأتي بسبب التخلّص من هذا المرض القاتل للحسنات والذي يجرّ صاحبه إلى النار.

٣- **الحصانة:** وهي تحفظ الإنسان من الوقوع في الذنوب، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغضّ البصر،**

(١) سورة مريم، الآية: ٣٩.
(٢) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٣٢٩١.
(٣) م. ن، ج٤، ص٣٢٩٢.
(٤) م. ن ، ج٤، ص٣٢٨٩.

فإنّ البصر لا يغضّ عن محارم الله إلّا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»[1].

كيف تعالج آفة النظر؟

إنّ الذي يحفظ الإنسان ويمنعه من الوقوع في النظرة الحرام، ويعيده إلى الصواب، إذا وقع - لا سمح الله - في الانحراف، هما أمران أساسان:

أ- تقوى الله: إنّ الارتباط بالله تعالى وتقوى الله تعالى هما الأمر الأساس في حفظ الإنسان وابتعاده عن المحرّمات، وقد تمّ التأكيد على تقوى الله في موضوع النظر وأمراضه، وعن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سُئل: بِمَ يُستعان على غمض البصر؟ فقال: «**بالخمود تحت سلطان المطّلع على سرّك**»[2]، فإن كنّا عباداً لله تعالى فعلينا أن نقوم بواجبات العبوديّة من إطاعة أوامر الله تعالى والتجنّب عمّا نهى عنه ومن ذلك غضّ البصر، وإن كنّا عباداً لرغباتنا وشهواتنا ومتطلّباتها -والعياذ بالله من أن نكون كذلك - فقد خرجنا من دائرة العبوديّة لله تعالى إلى عبوديّة الشيطان وجنوده! ويصدق حينئذ قول إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[3].

ب- الحياء: فالحياء حاجز آخر يقف أمام انحراف الإنسان، وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[4]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا لم تستح فافعل ما شئت**»[5].

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص٣٢٩٣.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٠١، ص٤١.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢ -٨٣.
(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٨، ص٤٦٦.
(٥) م. ن.

خلاصة الدرس

- تعتبر العين نعمةً إلهيّة كبرى للإنسان إذ يبصر بها ما حوله من المخلوقات والأشياء فيستثمرها، إلّا أنّها قد تكون وبالاً عليه في آخرته إذا لم يحسن استخدامها ضمن الحدود الّتي وضعها اللّه تعالى لها.
- لا بدّ من تأديب العين بتنزيهها عمّا يخالف الشريعة، وتأديبها بما يصلح لها في الآخرة، ومن الأمور الّتي أكّد الشرع الأقدس على تنزيه العين عنه، النظر المحرّم بجميع أشكاله وصوره.
- إنّ جزاء النظر المحرّم عند اللّه تعالى شديد جدّاً، وله عواقب وخيمة، ومن هذه العواقب:

١- أن يملأ اللّه عينيه ناراً.

٢- الحسرة يوم القيامة.

٣- أن يغضب اللّه تعالى عليه.

- من آثار غضّ الطرف عن محارم اللّه تعالى:

١- حلاوة العبادة.

٢- راحة القلب.

٣- الحصانة.

- يمكن معالجة آفة النظر من خلال أمرين:

أ - تقوى اللّه تعالى.

ب - الحياء.

أسئلة

١- ما هي علاقة العين بالقلب؟

٢- ما هي الأمور الّتي يحرم النظر إليها؟

٣- ما هي آثار النظر المحرّم؟

٤- ما هي آثار غضّ البصر عن محارم الله تعالى؟

٥- ما هو علاج آفة النظر؟

للمطالعة

الوسوسة

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

... ويجب على كلّ من يشكّ في حصول الوسوسة عنده، أن يكون مثل الناس العوامّ، في عرض عمله على العلماء والفقهاء، والاستفهام منهم بأنّه هل ابتلي عمله بمرض الوسوسة أم لا؟ لأنه كثيراً ما يكون الإنسان الوسواسيّ غافلاً عن حاله ومعتقداً بأنّه معتدل وأنّ الآخرين غير مكترثين بالدين ولكنّه إذا فكّر قليلاً لوجد أنّ مصدر هذا الاعتقاد هو الشيطان وإلقاءاته الخبيثة، لأنّه يرى بأنّ العلماء والفقهاء الكبار ومن الّذين يؤمن بعلمهم وعملهم بل ويكونون مراجع المسلمين في أخذ مسائل الحلال والحرام منهم يعملون بما يُغاير عمله ولا يستطيع القول بأنّ الملتزمين غالباً والعلماء والفقهاء لا يحفلون بدين الله وأنّ الإنسان الوسواسيّ وحده يتقيّد بالدين.

وعندما يدرك ضرورة إصلاح العمل يدخلُ مرحلة العمل، والعمدة في هذه المرحلة عدم الاهتمام بالوساوس الشيطانيّة والأوهام الّتي تلقى عليه، فمثلاً

إذا كان مجتهداً ومبتلى بالوسوسة في الوضوء فليتوضّأ مع غَرفة واحدة رغم وسوسة الشيطان، إنّ الشيطان يوسوس ويقول بأنّ هذا العمل ليس بصحيح ولكن يواجهه بأنّ عملي لو لم يكن صحيحاً؛ لوجب أن لا يكون عمل رسول الله ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام والفقهاء جميعاً صحيحاً لأنّ رسول الله ﷺ والأئمّة الطاهرين قد توضّأوا في فترة طويلة تقرب من ثلاثمائة سنة، وكانت كيفيّة وضوء جميعهم واحدة فإذا كان عملهم باطلاً، فليكن عملي باطلاً أيضاً وإذا كنت مقلّداً لمجتهد فأجب الشيطان بأنّني أعمل على ضوء فتوى المجتهد، فإذا كان وضوئي باطلاً فلا يؤاخذني ربّي عليه، ولا تكون عليّ حجّته.

وإذا أوقعك الشيطان الملعون في الشكّ قائلاً بأنّ المجتهد لم يقل هكذا فافتح رسالته العمليّة وتأكّد من صحّة العمل، فإذا لم تعبأ بإلقاءاته عدّة مرات وعملت على خلاف رأيه غدا آيساً منك، ونرجو أن تكون المعالجة النهائيّة لمرضك كما ورد هذا المعنى في الأحاديث الشريفة:

فعن الكافي بإسناده عن زرارة وأبي بصير قالا: «**قُلْنَا لَهُ: الرَّجُلُ يَشُكُّ كَثِيراً فِي صَلاَتِهِ حَتَّى لا يَدْرِي كَمْ صَلّى وَلاَ مَا بقِيَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يُعِيدُ. قُلْنَا لَهُ: فَإِنَّهُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ ذلكَ، كُلَّمَا أَعَادَ شَكّ. قَالَ: يَمْضِي فِي شَكِّهِ، ثُمّ قال: لاَ تُعَوِّدُوا الخَبِيثَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بِنَقْضِ الصّلاة فَتُطْمعوهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ خَبِيثٌ يَعْتَادُ لِمَا عُوِّدَ، فَلْيَمْضِ أَحَدُكُمْ فِي الوَهْمِ وَلاَ يُكْثِرَنَّ نَقْضَ الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذلكَ مَرّات لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ الشَّكّ. قَالَ زُرَارَةُ: ثُمّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ الخَبِيثُ أَنْ يُطَاعَ فَإِذَا عُصِيَ لَمْ يَعُدْ إِلَى أَحَدِكُمْ**».

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إِذا كَثُرَ عَلَيْكَ السَّهْوُ فَامْضِ فِي صَلاَتِكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَدَعَكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ**».

ومن الوضوح بمكان أنّك إذا خالفت الشيطان فترة من الزمان، ولم تُلْقِ بالاً

لوساوسه لانقطـع طمعه عنك وعادت الطمأنينة والسكون إلى نفسك، ولكن في غضــون أيّــام تصدّيك للشيطان تضــرّع إلى ساحة الحــقّ المتعالي والتجئ إلى ذاتــه المقدّس من شــرّ ذاك الملعون وشرّ النفس، واستعذ باللّه منه وهو يعينك عليه...

الدرس الثاني عشر

تهذيب السمع

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب أهميّة الأذن وتأثيرها في القلب.
- أن يتعرّف إلى حقّ السمع.
- أن يتبيّن حرمة الغناء.

حقّ السمع

عـن الإمام السجّاد عليه السلام: «**وأمّا حقّ السمع، فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك، إلّا لفوهة كريمة تُحدث في قلبك خيراً أو تُكسب خُلقاً كريماً، فإنّه باب الكلام إلى القلب يؤدّي إليه ضروب المعاني، على ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوّة إلّا بالله**»[1].

يختصر الإمام السجّاد عليه السلام في رسالة الحقوق وفي كلمات قليلة حقّ السمع الّـذي لا بـدّ وأن نراعيه ولكنّه يشير فـي أوّل كلامه عليه السلام إلـى تأثير السمع في القلب، ومعرفة هذا التأثير يعتبرها الإمام عليه السلام من أوّل الحقوق.

فهـذا السمـع في الحقيقة ما هو إلّا بـاب إلى قلب الإنسان وعقلـه، وإنّ نفس العضـو المختصّ بالسمـع أي الأذن لا يملك مصفاة تصفّي ما يصلح سماعه أم لا، بل إنّها تستقبل أيّ شيء سواء كان حسناً أم قبيحاً.

ومـن هنا يأتـي دور الإنسان، فعليه أن يتحكّم بما يسمعه من خلال وجوده في الأماكـن الّتـي لا يضطـرّ فيها لسماع أمر غيـر مرغوب فيه، أو علـى الأقلّ عدم الإصغاء إليه.

(١) تحف العقول، الحرّاني، ص٢٥٧.

فما هو المطلوب أن ننزّه أسماعنا عنه؟ هناك الكثير من الضوابط الشرعيّة الّتي ينبغي مراعاتها، والكثير من الانحرافات الّتي ينبغي تنزيه الأذن عن سماعها، ولكن سنشير إلى أمر يُعتبر من أخطر المحرّمات على الأذن، وهو استماع الغناء.

نزّه سمعك عن الغناء

والغناء هو ترجيع الصوت على الوجه المناسب لمجالس اللهو، وهو من المعاصي ويحرم على المغنّي والمستمع، وأمّا الموسيقى فهي العزف على آلاتها، فإن كانت بالشكل المتعارف في مجالس اللهو والعصيان فهي محرّمة على عازفها وعلى مستمعها أيضاً[1].

فالغناء من المحرمات الّتي جاء بها الكتاب يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[2]، وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**الغناء ممّا وعد الله عليه النار**»، وتلا هذه الآية[3].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**الغناء يورث النفاق، ويعقب الفقر**»[4].

وكما يُحرم الاستماع للغناء فإنّه لا يجوز الحضور في مجلس الغناء والموسيقى المطربة اللهويّة المناسبة لمجالس اللهو والعصيان إذا أدّى ذلك للاستماع إليها أو إلى تأييدها[5].

(١) أجوبة الإستفتاءات، السيد علي الخامنئي، ج٢، ص٢٣.
(٢) سورة لقمان، الآية:٦.
(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي، ج١٧، ص٣٠٥.
(٤) م. ن، ج١٢، ص٢٣٠.
(٥) أجوبة الإستفتاءات، السيد علي الخامنئي، ج٢، ص١١٩.

أثر الغناء في القلب

إنّ لكلّ عمل يقوم به الإنسان أثراً في قلبه، ويتبع الأثر في حُسنه أو قبحه طبيعة العمل، فإن كان العمل طاعة لله تعالى كان الأثر إيجابيّاً وحسناً ويجلب توفيقاً من الله تعالى، ولكنّ الطامّة الكبرى في أثر الأعمال الناشئة من حبّ الدنيا الّذي يُعتبر أساس كلّ المعاصي ومنه الغناء، يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**اعلم أنّ ما تناله النفس من حظّ في هذه الدنيا، يترك أثراً في القلب، وهو من تأثير الملك والطبيعة، وهو السبب في تعلّقه بالدنيا. وكلّما ازداد التلذّذ بالدنيا، اشتدّ تأثّر القلب وتعلّقه بها وحبّه لها، إلى أن يتّجه القلب كُلّيّاً نحو الدنيا وزخارفها، وهذا يبعث على الكثير من المفاسد. إنّ جميع خطايا الإنسان وابتلاءه بالمعاصي والسيّئات سببها هذا الحبّ للدنيا والتعلّق بها**»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**حُبّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلّ خَطيئَة**»[1].

وللاستماع إلى الغناء أثر كبير في القلب الّذي يهمّ السالكين إلى الله تعالى أن يبقى أبيضَ ناصعاً غير ملوّث بأكدار المعاصي، فمن آثاره:

١- يورث النفاق:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع**»[2].

٢- مجلس الغناء محلّ غضب الله:

مجلس الغناء محلٌّ غضب الله، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تدخلوا بيوتاً الله مُعْرِضٌ عن أهلها**»[3].

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، الحديث السادس.
(٢) م. ن.
(٣) م. ن.

وعنه عليه السلام: «**بيت الغناء لا يُؤمَن فيه الفجيعة، ولا يُجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملائكة**»[1].

٣- يعذّب مستمعه بأنواع من العذاب:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يُحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم**»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خمسة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة.. إلى أن قال: والمغنّي**»[3].

٤- قد يؤدّي إلى الزنا:

الغناء سبب ومقدِّمة للوقوع في الزنا، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الغناء رَقيَّة الزنا**»[4].

وحيث إنَّ الغناء هو صوت لهويّ ينبع من الشهوة واللذّة الحيوانيّة، فإنَّ من آثاره السيِّئة تحريك شهوة المغنِّي والمستمع، فيغفلان عن ذكر الله والآخرة بنحو يهيّئهما لارتكاب الفحشاء.

تحذير من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولذلك جاء تحذير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عواقب الغناء فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**يظهر في أمّتي الخسف والقذف. قالوا: متى ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا ظهرت المعازف والقينات وشربت الخمور. والله ليبيتنّ أناس من أمّتي على أشر وبطر ولعب فيصبحون قردة وخنازير لاستحلالهم الحرام، واتخاذهم القينات، وشربهم**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٧، ص ٣٠٣.
(٢) مستند الشيعة، المحقّق النراقي، ج١٤، ص١٣٢.
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٣، ص ٢١٣.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٦، ص ٢٤٧.

الخمور، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير»[1].

ثواب من نزّه نفسه عن الغناء

ما ورد كان لمن لم ينزِّه نفسه عن الغناء، فماذا ينتظر من نزّه نفسه عنه؟

عن الإمام الرضا عليه السلام: «**من نزّه نفسه عن الغناء فإنَّ في الجنة شجرة يأمر الله عزَّ وجلَّ الرياح أن تحرّكها، فيسمع منها صوتاً لم يسمع مثله، ومن لم يتنزّه عنه لم يسمعه**»[2].

خلاصة الكلام

إنَّ مستعمري العالم يخافون دائماً من وعي الشعوب، وخاصّة الشباب، ولذلك فإنّ جانباً من برامجهم الواسعة لاستمرار الاستعمار وإدامته هو إغراق المجتمعات بالغفلة والجهل والضلال، وتوسعة وسائل اللهو المفسدة.

ونشر الغناء والموسيقى هو من أهمّ الوسائل الّتي يصرّ عليها المستعمرون لتخدير أفكار الناس، وإضعاف إرادتهم في المقاومة.

خلاصة الدرس

- السمع باب إلى قلب الإنسان وعقله، وإنّ العضو المختصّ بالسمع أي الأذن لا يملك مصفاة تصفّي ما يصلح سماعه أم لا، بل إنّها تستقبل أيّ شيء سواء كان حسنا أم قبيحاً.
- إنّ لكلّ عمل يقوم به الإنسان أثراً في قلبه، ويتبع الأثر في حسنه أو قبحه طبيعة العمل، فإن كان العمل طاعة لله تعالى كان الأثر إيجابيّاً وحسناً ويجلب

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٧، ص ٣١١.
(٢) م. ن، ص ٣١٧.

توفيقـاً من الله تعالى، ولكن الطامّة الكبرى في أثر الأعمال الناشئة من حبّ الدنيا الّذي يعتبر أساس كلّ المعاصي ومنه الغناء.

- الاشتغـال بالملاهي والغناء من الكبائر ومن لهو الحديث ومن قول الزور ومن اللغـو، وهو يورث النفـاق ويبعد الملائكة ويؤدّي إلى الزنـا والفواحش، ويبعد عـن ذكر الله، وهو إحـدى وسائل الاستعمـار لإضعاف المسلميـن وإرادتهم ومقاومتهم.

أسـئـلـة

١- ما هي العلاقة بين السمع والقلب؟

٢- لماذا ينبغي تنزيه السمع عن الغناء؟

٣- ما هو أثر الغناء في النفس الإنسانيّة؟

من قصص العلماء

جاء في كتاب (دار السلام) للمحقّق النوريّ: عن السيّد حسن بن السيّد عليّ الأصفهانيّ أنّه قال: كنت مشغولاً بطلب العلم في النجف الأشرف حين مات أبي، وتعهّد بأعمال أبي بعض أخوتي، ولم يكن لي علم بتفاصيلها، وبعد مضيّ سبعة أشهُر من وفاته توفّيت أمّي في أصفهان، وحملوا جنازتها إلى النجف الأشرف، وفي ليلة من تلك الليالي رأيت والدي في المنام فقلت له: إنّك توفّيت في أصفهان وأنت الآن في النجف الأشرف، فقال بلى. بعد وفاتي نقلوني إلى هذا المكان. فسألته عن والدتي قريبة منك؟ فقال: هي في النجف ولكن في مكان آخر، وعلمت أنّها ليست بدرجة أبي فسألته عن حاله فقال:

كنت في الضيق والشدّة والآن ارتحت منهما فتعجّبت وقلت: هل مثلك من يعذب؟ فقال: نعم، إنّ الحاجّ رضا كان له عليّ دين وكان يطالبني به، لذا كنت في شدّة.

يقول السيّد حسن الأصفهانيّ: فاستيقظت فزعاً، وكتبت رؤياي لأخي الّذي كان وصيّاً لوالدي وطلبت منه التحقيق في ذلك، فكتب لي في الجواب: إنّني فتشت في دفاتر ديون والدي فلم أجد اسم حاجّ رضا، فكتبت إليه: إجهد أن تعرف ذلك الشخص ثمّ تسأله ما إذا كان يطلب والدي.

فكتب لي في الجواب: سألته: فقال: نعم كنت أطلب والدك ولم يكن يعلم بذلك أحد إلّا الله وقد سألتك بعد وفاته: هل يوجد اسمي في سجلّ الدائنين؟ فقلت لا، ولم يكن لديّ سند استند إليه في ذلك الدين، ولم يكن لي طريق لإثباته.

لمّا سمعت ذلك أردت أن أدفع له ذلك المبلغ فلم يقبل، وقال قد أبرأت ذمّته.

تأمّل أيّها المؤمن في هذا الحديث: عن الإمام الباقر عليه السلام:

«الظلم ثلاثة، ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وأمّا الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل فيما بينه وبين الله، وأمّا الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد»[1].

(١) الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج٢، ص٢٢.

الدرس الثالث عشر

تهذيب البطن

أهداف الدرس

- أن يتبـيّن الطالـب أهميّة البطن وتأثيرهـا على روحيّة الإنسان.
- أن يتعرّف إلى حقّ البطن.
- أن يدرك خطر أكل الحرام وأثره.

الطعـام فـي الأصل هـو ضـرورة حياتيّة للإنسـان، وقد جعـل اللّه تعالى في الإنسـان شهوة الطعـام الّتي تدفع الإنسان نحـو الأكل وبالتالي يتمّ تأمين حاجة البدن من الطعام بشكل يضمن بقاءه حيّاً.

ولكـن عندما يذهـب الإنسان بعيداً فـي إشبـاع الغريزة الّتي تدعـوه لتناول الأطعمـة ويصبح الأكل الهمّ الأكبر لديه، فهنا ينحرف الإنسان عن الخطّ الّذي أراده اللّه تعالـى لـه، فيتحـوّل مـن إنسـان أراده اللّه تعالى للعبـادة الّتي تحقّق السعادة، إلى بهيمة هائمة لا ترى إلّا علفها، ومن هنا جاء الإسلام ليحافظ على إنسانيّـة الإنسان من خـلال التشريعات الّتي تقنّن عليه بعض الأنواع من الطعام الّتـي ليسـ فيها صلاح له، ولتأديبه بآداب تخلص نتيجتهـا إلى أن يأكل الإنسان ليعيش لا أن يعيش ليأكل.

نزّه بطنك عن الحرام

إنّ الّذي يتأمّل فيما ورد عن الأئمّة عليهم السلام، من الأحاديث يجد حرصاً كبيراً على حليّة، ما يدخل في جوف الإنسان المؤمن، ففي الحديث عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**وأمّـا حـقّ بطنك، فأن لا تجعلـه وعاءً لقليل من الحـرام ولا لكثير، وأن تقتصر لـه فـي الحـلال، ولا تخرجه من حـدّ التقوية إلى حـدّ التهوين وذهـاب المروّة،**

وضبطه إذا هَمَّ بالجوع والظمأ، فإنّ الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كلّ برّ وكرم، وإنّ الريّ المنتهي بصاحبه إلى السكر، مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروّة»[1].

إذاً، هناك العديد من الأمور الّتي أمرنا الله تعالى أن ننزّه أنفسنا عنها، ومنها:

الخمر

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

فالخمرة هي أمّ الخبائث، وهي من المحرّمات الكبار الّتي تذهب بعقل الإنسان فيخسر دنياه، وتعرّضه لسخط الجبّار فيخسر الآخرة؛ وهذا هو الخسران المبين، ولقد وردت الروايات الكثيرة الّتي تنهى الإنسان عن تناول هذه المسكرات، وممّا يُفهم من بعض هذه الروايات أنّ الرسول الأكرم ﷺ، تشدّد في عزل شارب الخمر اجتماعيّاً فأمر بمقاطعته فلا يزوّج ولا يؤتمن، ففي الرواية عن النبيّ الأكرم ﷺ: «**من ائتمن شارب الخمر على أمانة بعد علمه فليس له على الله ضمان ولا أجر له ولا خلف**»[3].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «**شارب الخمر لا يزوّج إذا خطب**»[4].

ومن جهة أخرى فقد صوّرت الروايات شارب الخمر في يوم القيامة بصور مرعبة ومقزّزة، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه مدلعاً لسانه، يسيل لعابه على صدره، وحقّ على الله أن**

(١) تحف العقول، الحرّاني، ص٢٥٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي، ج ١٩، ص٨٣.
(٤) م. ن، ج٢٠، ص٧٩.

يسقيه من (بئر خبال) قال: قلت: وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل فيها صديد الزناة»[1].

وفي رواية أخرى عن إمامنا الصادق: شارب الخمر يأتي يوم القيامة مسودا وجهه مائلاً شفته مدلعاً لسانه، ينادي العطش العطش[2].

الربا

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[3]. الربا في القرض هو الإقراض مع اشتراط الفائدة، وقد حارب الإسلام الربا وعدّه من المكاسب المحرّمة، فمال الربا مال حرام وآكله آكل للمال الحرام، والسالك إلى الله تعالى لا بدّ له من أن يحرص على أن لا يشوب لحمه ودمه المال الحرام، فإنّ ذلك من الموانع الّتي تقف في طريق الإنسان للوصول إلى الله تبارك وتعالى وعن رسول الله ﷺ: «**شرّ المكاسب كسب الربا**»[4].

المال الحرام

المقصود به كلّ مال أخذ من غير ما أحلّه الله، كالمال الّذي يجنيه بائع المحرّمات كأشرطة الغناء والخمر، وكأكل أموال اليتامى ظلماً، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[5].

ومن المال الحرام أيضاً غشّ الناس في التجارات والبيع يقول الله تعالى:

(١) وسائل الشيعة، ج٢٥، ص٢٩٧.
(٢) م. ن.
(٣) سورة البقرة، الآية:٢٧٥.
(٤) الوجيز في الفقه الإسلامي، ص٥٧.
(٥) سورة النساء، الآية:١٠.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقول في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

فيا أيّها السالك إلى الله تعالى احذر كلّ الحذر من المال الحرام أن يدخل إلى بطنك أو يمتزج بلحمك ودمك لأنّ ذلك يزيد من الحُجُب بينك وبين ربّك، ويجعلك تسير إلى أودية جهنّم لا إلى الله تعالى، وستكون من الأخسرين أعمالاً والعياذ بالله: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

القمار

من الذنوب الكبيرة القمار، وقد عبِّر عنه في القرآن الكريم بالميسِر، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[4].

والميسِر يشمل كلَّ أنواع القمار، وهو مأخوذ من كلمة «اليسر»، ذلك أنّ القمار ببساطة وبدون مشاقِّ الكسب والعمل يجعل أموال الآخرين في قبضة الإنسان. والتعبير في الآية الكريمة بالإثم الكبير، إشارة واضحة إلى كون القمار من الكبائر.

ومن الدلائل على أنَّ القمار من الذنوب الكبيرة قرنه في القرآن الكريم دائماً بالخمر وعبادة الأصنام، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فهو يشترك مع الخمر في الكثير من المفاسد.

من مفاسد القمار

١ - العداوة والبغضاء:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

نلاحظ في الآية الكريمة جعل العداوة والبغضاء من آثار الخمر والميسر فالمقامر إمّا أن يربح أو يخسر، فإذا ربح فلا شكّ أنَّ البغض والحقد سيملأ قلب صاحبه الخاسر، حيث يرى أمواله التي حصل عليها بمشقّة وجهد، وكان متعلّقاً بها خرجت من يده بدون أيِّ عوض، وإن لم يستطع أن يتداركها في المجلس نفسه فإنَّه سيأخذ الحقد بدلها إلى آخر عمره ويتحيَّن الفرص للانقضاض على من كان سبباً في خسارته.

أمَّا إذا خسر فمعلوم أنّه سيعوّض عن خسارته بالحقد على صاحبه، وقد ينتهي مجلس القمار إلى الغضب والسبّ والشتم وهتك الأعراض والضرب وحتّى الجريمة الكبرى، القتل.

٢ - القمار يؤدّي إلى الفساد والتشرُّد:

والموضوع الآخر هو أنَّ المقامر إذا ربح فإنّه سيتّجه للتفكير بالفساد واللهو، وارتياد الحانات ومراكز الفحشاء والمنكرات والملاهي، لأنّه قد كسب هذا المال من دون جهد ولا تعب، وكما يقول المثل: «مال جاءت به الريح تذهب به

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

الريح»، وسوف يذهب المال هدراً وإسرافاً وتبذيراً بعد قليل من الزمان.

وعلى إثر الربح تشتدّ علاقته بالقمار، وتموت عنده روح النشاط والعمل والجدّ في طلب الرزق الحلال، وفي النتيجة يصبح إنساناً عاطلاً بطّالاً كسولاً خاملاً، شهوانيّاً، متحلّلاً، ويكون سعيه وهمُّه الوصول إلى مجالس القمار لعلّه يظفر بنصيب أكبر.

أمّا إذا خسر فإنَّه سوف تسيطر عليه الأعصاب الهائجة، ويهيج عنده الحسّ الانتقاميّ المتوحّش، لأجل تحصيل ما خسره من المال، وهنا سيحاول جهده تحصيل المال من أيّ طريق، وهنا أيضاً سيوصل نفسه مرّة أخرى إلى نوادي القمار.

٣- الابتعاد عن ذكر الله والصلاة

ومن جملة المفاسد العظيمة للقمار، الغفلة عن ذكر الله والابتعاد عن طاعته، كما ذكرت الآية أعلاه: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ...﴾

فحال الإنسان المقامر، في مجالس القمار والّتي تتضمَّن عادة شرب الخمر وسماع الأغاني والمفاسد ومصاحبة الفاسدين، أنّه يمضي عليه وقت الصلاة وهو مشغول بسكره وقماره ولهوه.

خلاصة الدرس

- الطعام في الأصل هو ضرورة حياتيّة للإنسان، وقد جعل الله تعالى في الإنسان شهوة الطعام الّتي تدفع الإنسان نحو الأكل، وبالتالي يتمّ تأمين حاجة البدن من الطعام بشكل يضمن بقاءه حيّاً، ولكن عندما يذهب الإنسان بعيداً في إشباع الغريزة الّتي تدعوه لتناول الأطعمة ويصبح الأكل الهمَّ الأكبر لديه، فهنا ينحرف الإنسان عن الخطّ الّذي أراده الله تعالى له، فيتحوّل من إنسان أراده الله تعالى للعبادة الّتي تحقّق السعادة إلى بهيمة هائمة لا ترى إلّا علفها.
- يجب تنزيه البطن عن عدّة أمور: الخمر، الربا، المال الحرام.
- من الكبائر القمار وله مفاسد كثيرة منها: إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس والابتعاد عن ذكر الله والصلاة.

أسئلة

١- عمَّ ينبغي تنزيه بطن الإنسان؟

٢- أعطِ مثالاً عن المال الحرام.

٣- ما هو أثر الخمر في الحياة الإنسانيّة والمجتمعات؟

٤- ما هو أثر القمار في المجتمع وفي الفرد؟

الآثار المهلكة للخمر والقمار

لقد أثبت العلماء عدَّة مفاسد للخمر منها:

أ- تأثيره في عمر الإنسان.

ب- تأثيره في النسل.

ج- أثره في الأخلاق العاطفيّة العائليّة، ممّا يقلِّل من انشداد المدمن نحو زوجته وأولاده، حتّى قد يؤدّي إلى قتلهم، كما هو مشاهَدٌ في بعض الحالات.

د- أضرار الكحول الاجتماعيّة: من ضرب وسرقة واحتيال وقتل وانتحار.

هـ- الأضرار الاقتصاديّة: يقول أحد علماء النفس المشهورين: من المؤسف أنَّ الحكومات تحسب ما تدرّ عليها المشروبات الكحوليّة من ضرائب، ولا تحسب الميزانيّة الضخمة التي تنفق لترميم مفاسد هذه المشروبات. فلو حسبت الحكومات الأضرار الناتجة من المشروبات الكحوليّة، مثل زيادة الأمراض الجسميّة والروحيّة، وإهدار الوقت والاصطدامات الناتجة من السكر وفساد الجيل وانتشار روح التقاعس والتحلّل، والتخلّف الثقافيّ، والمشاكل الّتي تواجه رجال الشرطة ودور الحضانة المخصّصة لرعاية أبناء المخمورين، وما تحتاج إليه جرائم المخمورين من مستشفيات وأجهزة قضائيّة وسجون وغيرها من الخسائر والأضرار الناتجة من تعاطي الخمور، وقارنت هذه الخسائر بما تحصل عليه من ضرائب على هذه المشروبات لوجدت أنَّ الأرباح تكاد تكون تافهة أمام الخسائر...[1].

أمّا عن المضارّ الجسميّة للكحول فحدِّث ولا حرج:

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص١١٧.

١- أثره في الدماغ

٢- أثره في الإدراك

٣- أثره في المعدة

٤- أثره في الكبد

٥- أثره في جهاز التنفس

٦- أثره في الكلية

٧- أثره في القلب

٨- أثره في القوّة العاقلة

٩- أثره في دوران الدم

١٠- أثره في النسل إلى غير ذلك...[١].

أمّا بالنسبة إلى القمار فإليك إحصائيّة من الدوائر الإحصائيّة الأمريكيّة:

إنّ القمـار كان السبب المباشر في ٣٠٪ مـن الجرائم، وفي إحصائيّة أخرى نـرى وللأسف الشديد أنّ ٩٠٪ من جرائم السرقـة و٥٠٪ من الجرائم الجنسيّة و١٠٪مـن فساد الأخلاق و٣٠٪ من الطلاق و٤٠٪ مـن الضرب والجرح و٥٪ من حوادث الانتحار إنّما هي بسبب القمار[٢].

(١) انظر تفصيل ذلك: الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج١، ص٢٤٠.

(٢) الأمثل، ج٤، ص١٤٤.

الدرس الرابع عشر

تهذيب اليد

أهداف الدرس

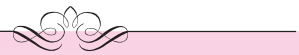

- أن يتبيّن الطالب أهميّة اليد في طريقه إلى الآخرة.
- أن يتعرّف إلى بعض ما ينبغي عمله بوساطة اليد.
- أن يتعـرّف إلى بعض ما ينبغي اجتناب ارتكابه بوساطة اليد.

تمهيد

روي عن الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام: «... **وأمّا حقّ يدك، فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك بما تبسطها إليه من العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها ممّا افترض الله عليها، ولكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحلّ لها، وتبسطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل، وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل**»[1].

إنّ اليد كغيرها من الجوارح خلقها الله تعالى لما فيه فائدة الإنسان، فباليد يسعى الإنسان للعمل، وبها يجاهد في سبيل الله ويحمي نفسه وأرضه وعرضه، وباليد يتناول الأشياء... إلى الكثير من الفوائد الأخرى.

إلّا أنّ اليد كما يمكن الاستفادة منها في الأمور الّتي تصبّ في صالح الإنسان، فإنّه يمكن أن تكون سبباً لدخوله في حلقة العاصين المتعرّضين لسخط الملك الجبّار، من هنا فلا بدّ من الالتفات إلى اليد وتهذيبها حتّى تكون بكلّ أعمالها وحركاتها وسكناتها لله ربّ العالمين.

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١، ص١٥٦.

عن ماذا ننزّه اليد؟

لقـد حرّم الشارع المقدّس على يد الإنسان أموراً وأوعد عليها النار، لما لهذه الأمـور من أثر سلبـيّ في النفس وفي المحيط والمجتمـع، ومن هذه الأمور الّتي حرّمها الشارع:

١- **السرقة:** وقد أشـار الإمام الرضا عليه السلام إلى سبـب تحريمها حيث قال: «**حـرّم الله السرقـة لما من فساد الأموال وقتـل النفس لو كانت مباحة، ولمـا يأتي فـي التغاصب من القتـل والتنازع والتحاسد، ومـا يدعو إلى ترك التجارات والصناعات في المكاسب، واقتناء الأموال إذا كان الشيء المقتنى لا يكون أحد أحقّ به من أحد**»[١].

والسرقـة لا تتوقّـف عند مدّ اليد إلى المال الموجـود عند الآخرين وأخذه بل يشمـل كلّ حـقّ في مال الإنسـان لا يُخرجه، ومن هـذه الحقوق ما أشـارت إليه الروايـة عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**السرّاق ثلاثـة: مانع الـزكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه**»[٢].

٢- **الاعتـداء علـى الغير:** لم يترك الرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت مناسبة إلّا وتحدّثوا فيها عـن العلاقات الطيّبة بين الأخوة في الدين لكيلا يتحوّل المجتمـع الإسلامـيّ الأخلاقيّ المنسجم المترابط إلـى حلبة للمصارعة والتضـارب بين كلّ غاصب أو ذي قوّة متسلّـط يستعرض بين الناس قوّته وبطشـه، ففـي الرواية عـن الرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله: «**... ألا ومـن لطم خدّ امـرئ مسلم أو وجهه بدّد الله عظامـه يوم القيامة، وحُشر مغلولاً حتّى يدخل جهنّم إلّا أن يتوب**»[٣].

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٢، ص١٢٩٨.
(٢) م.ن، ج٢، ص١٢٩٩.
(٣) مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي، ج٢، ص١٤٩.

٣- **الإضرار بالآخرين:** عن الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره**»(١).

٤- **اللمس المحرّم:** أي لمس الأجنبيّة بالمصافحة أو غيرها، وقد ورد في الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من صافح امرأة تحرم عليه، باء بسخط من الله**»(٢).

اليد طريق للآخرة

بعد أن تحدّثنا عن بعض الأمور الّتي ينبغي تهذيب النفس عنها، نشير إلى الأمور الّتي يربح فيها المؤمن في آخرته من خلال يده، ومن هذه الأمور:

١- الجهاد في سبيل الله: يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٣) حيث إنّ الله علّق حصول الفلاح على الجهاد.

وكذلك أكّدت روايات المعصومين عليهم الصلاة والسلام على أهميّته ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو درع الله الحصينة وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء**»(٤).

٢- **الصدقة:** والصدقة من المستحبّات الأكيدة، ولها أجر كبير عند الله تعالى إذا كانت بإخلاص له عزَّ وجلَّ، ومن آثار الصدقة أنّها:

أ- **تظلّ المؤمن من حرّ يوم القيامة، ففي الحديث عن الرسول الأكرم**

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج٦، ص٤٥٧.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٥١٥.
(٣) سورة المائدة، الآية:٣٥.
(٤) نهج البلاغة، ج١، الخطبة٢٧.

ﷺ: «أرض القيامة نار، ما خلا ظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه»[1].

ب- تدفع البلاء: ففي الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «**الصدقة تدفع البلاء، وهي أنجح دواء، وتدفع القضاء وقد أبرم إبراماً، ولا يذهب بالأدواء إلّا الدعاء والصدقة**»[2].

ج- تخلف البركة: ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة**»[3].

يبقى أن نشير إلى أنّ أفضل الصدقات هي ما تستبطن الإيثار، ومثلنا الأعلى في ذلك أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، فقد أنزل الله تعالى في مدحهم سورة الدهر حيث قال عزَّ من قائل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[4].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله عزَّ وجلَّ صاحب القليل فقال:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»[5].

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٢، ص١٥٩٤.
(٢) م. ن، ج٢، ص١٥٩٥.
(٣) م. ن، ج٢، ص١٥٩٧.
(٤) سورة الدهر/ الإنسان، الآيتان:٨-٩.
(٥) سورة الحشر، الآية:٩.

خلاصة الدرس

-إنّ اليد كغيرها من الجوارح خلقها الله تعالى لما فيه فائدة الإنسان، فباليد يسعى الإنسان للعمل وبها يجاهد في سبيل الله ويحمي نفسه وأرضه وعرضه وباليد يتناول الأشياء... إلى الكثير من الفوائد الأخرى.

-كما يمكن الاستفادة من اليد في الأمور الّتي تصبّ في صالح الإنسان، فإنّه يمكن أن تكون سبباً لدخوله في حلقة العاصين المتعرّضين لسخط الملك الجبّار.

-ينبغي تنزيه اليد عن أمور، مثل: السرقة، الاعتداء على الغير، الإضرار بالمؤمنين، اللمس المحرّم.

-من الأمور الّتي يكتسب فيها المؤمن آخرته من خلال يده: الجهاد، والصدقة.

أسئلة

١- كيف يمكن أن تسبّب اليد دخولَ صاحبها إلى النار؟

٢- اذكر بعض الأمور الّتي ينبغي أن يكتسب بها الإنسان آخرته من خلال يده.

٣- ما هي الآثار المترتّبة على الصدقة؟

الرجاء والغرور

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

ولكـن أيّها العزيز، كن على حـذر، لئلّا تخلط بين الرجاء والغرور. فقد تكون مغتـراً وتحسـب نفسـك من أهل الرجـاء. إنّ مـن السهل التمييز بيـن الحالين فـي مباديهما، أنظر إلى هـذه الحال الّتي فيك والّتي تظـنّ نفسك بها بأنّك من أهـل الرجاء، فهـي إمّا أن تكون ناشئة من التهاون فـي أوامر الحقّ – سبحانه – والتقليـل منهـا، وإمّا أن تكون ناجمة عن الاعتقـاد بسعة رحمة اللّه وعظمة ذاته المقدّسة. وإذا عسر عليك التمييز بينهما أيضاً، أمكنك التمييز من خلال الآثار فإذا كان الإحساس بعظمة اللّه في القلب وكان قلب المؤمن محاطاً برحمة ذاته المقدّسـة وعطاياه، لقام القلـب بواجب العبوديّة والطاعـة؛ لأنّ تعظيم العظيم المُنعم وعبادته من الأمور الفطريّة الّتي لا خلاف فيها.

وإذا لـم تكن فـي أداء واجبات العبوديّة، وفي بذل الجُهـد والجدّ في الطاعة والعبـادة معتمـداً على أعمالك، ولـم تحسب لها حساباً، وكنـت آملاً رحمة اللّه وفضله وعطـاءه، ووجدت نفسك مستحقّاً للّوم والـذمّ والسخط والغضب بسبب أعمالـك ولم تعتمد إلاّ على رحمة الجواد المطلـق فأنت من أهل الرجاء فاشكر اللّه تبارك وتعالـى، واطلب من ذاته المقدّسة أن يثبّت ذلك في قلبك، ويمنحك أعلى منه مقاماً.

أمّـا إذا كنـت – لا سمـح اللّه – متهاونـاً في أوامـر الحقّ تعالـى ومستحقراً ومستهيناً بتعاليمه، فاعلم أنّه الغرور الحاصل في قلبك وأنّه من مكائد الشيطان، ومـن نفسك الأمّارة بالسوء فلو آمنت بسعة اللّه ورحمته وعظمته لظهر أثر ذلك

فيـك. إنّ المدّعـي الّذي يخالف عمله دعواه يكذّب نفسـه بنفسه والشواهد على هذا في الأحاديث المعتبرة كثيرة.

ففـي الكافي بإسْنَاده عَنْ ابْن أَبي نَجْـرَانَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبي عَبْد اللّه قالَ: «**قُلْـتُ لَـهُ: قَـوْمٌ يَعْمَلُـونَ بالمَعَاصـي وَيَقولُونَ نَرْجُو فَـلاَ يَزَالـونَ كَذلكَ حَتّى يَأْتيَهُمُ المَوْتُ. فقَالَ: هؤُلاَء قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ في الأَمَانيّ. كَذَّبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ، إِنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ**».

الدرس الخامس عشر

تهذيب القدم

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب أهميّة القدم في سيره إلى الآخرة.
- أن يتعرّف إلى بعض ما ينبغي اجتنابه في مسيره.
- أن يتعرّف إلى بعض ما ينبغي الإقدام عليه في مسيره إلى الله.

تمهيد

إنّ القدمين اللتين أنعم الله تعالى بهما على الإنسان، واللّتين تحملان الإنسان إلى مقاصده، فيسير بهما في أرض الله باحثاً عن الرزق أو ساعياً في قضاء الحوائج، كغيرها من الجوارح الّتي تحدّثنا عنها كاللسان والعين، فإنّهما مثلها لا بدّ من أن يكونا تحت سيطرة العقل الّذي أدرك لزوم طاعة الله، واتباع الرسالة الإلهيّة. وما لم تكن كذلك فإنّ هذه القدم ستورد صاحبها النار، أو تعرّضه لسخط الجبّار، نعوذ بلطفه من غضبه، كما يمكن لها أن تورده الجنّة لو التزمت بما أملاه الشرع عليها من الحدود، فما هي الحدود الشرعيّة لهذه الجارحة؟ وما هي المحذورات الّتي ينبغي التنبّه لها والابتعاد عنها؟

القدم والمعاصي

هناك الكثير من النواهي المتعلّقة باستخدام الإنسان للقدم، تعرّضت لها الشريعة، ومن هذه الأمور:

١- **المشي في خدمة الظَلَمة:** إنّ تكثير أنصار الظالم هو تقوية له ومشاركة في ظلمه الّذي يرتكبه بحقّ الناس، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من مشى مع ظالم فقد أجرم**»[١].

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٣، ص١٢٥.

٢- **المشي لأصحاب البدع:** لأنّ المشي إليهم هو دعم وتقوية لهم على المستوى العامّ، وهو يؤثّر في الفرد أيضاً ويمكن أن يتسبّب بانحرافه، لما يأتونه من أفكار ومشاريع لا تنسجم مع الدين، والأخلاقيّات، ومن هنا جاء في الرواية عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام قال: «**من مشى إلى صاحب بدعة فوقّره فقد مشى في هدم الإسلام**»[١].

القدم والطاعات

القدم أيضاً هي نعمة إلهيّة خلقها الله تعالى لتكون أداة إضافيّة يستفيد منها الإنسان ويعمر آخرته، فكيف تكون القدم أداة عمار الآخرة؟

يكون ذلك من خلال أمور كثيرة نشير إلى بعضها:

١- **المشي إلى المساجد:** إنّ للمسجد دوراً أساساً ومحوريّاً في حياة الإنسان المؤمن، ومعلَم ومنطلق لحياة المجتمع الإسلاميّ، حتّى نسبها الله تعالى إليه، يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٢] من هنا كان التأكيد على المشي إلى المساجد، ومن الروايات الّتي تتحدّث عن فضله ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق، حيث قال: «**عليكم بإتيان المساجد فإنّها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهّراً طهّره الله من ذنوبه وكُتب من زوّاره فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء**»[٣].

٢- **المشي لقضاء حاجة المؤمن:** والمشي في قضاء حوائج المؤمنين من أعظم العبادات وفضلها عظيم عند الله تعالى، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مشى مع أخيه المسلم في حاجته كتب الله له ألف**

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج١٦، ص٢٦٨.
(٢) سورة الجن، الآية:١٨.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٠، ص٣٨٤.

ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيّئة، ورفع له ألف ألف درجة»[1].

وفي رواية أخرى عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من مشى إلى أخيه بدين ليقضيه إيّاه فله به صدقة**»[2].

٣- **المشي لزيارة المراقد المطهّرة:** وقد وردت فيها الروايات الكثيرة منها ما عن الإمام الرضا عليه السلام: «**ما زارني أحد من أوليائي عارفاً بحقّي إلّا تشفّعت له يوم القيامة**»[3].

وعنه عليه السلام: «**من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيّئة ورفع له ألف درجة...**»[4].

٤- **المشي في الجنائز:** عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام: «**من مشى مع جنازة حتّى يصلّى عليها كان له قيراط من الأجر فإذا مشى معها حتّى تدفن كان له قيراطان، والقيراط مثل جبل أحد**»[5].

من مات ماشياً في طاعة الله تعالى

ليس للموت موعد مسبّق وهو الّذي يدهم الناس فجأة بدون إذن، فما مصير من أدركه الموت وهو يمشي في طاعة من طاعات الله سبحانه وتعالى؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضمنت لستّة الجنّة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنّة، ورجل خرج يعود مريضاً فمات فله الجنّة ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنّة، ورجل خرج حاجّاً فمات فله الجنّة ورجل خرج إلى**

(١) مختلف الشيعة، العلامة الحلي، ج٤، ص١٩٧.
(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٧، ص٢٦٣.
(٣) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٢، ص١١٩٩.
(٤) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج١٤، ص٤٤٠.
(٥) المعتبر، المحقّق الحلي، ج١، ص٣٣٣.

الجمعة فمات فله الجنّة ورجل خرج في جنازة فمات فله الجنّة»[1].

ولكـنّ المصيبة بـل كلّ المصيبـة أن يدركنا الموت ونحن علـى معصية الله تعالى، والعياذ بالله، نسأله تعالى حسن العاقبة وحسن الخاتمة.

خـلاصـــة الـدرس

- إنّ القدميــن اللتين أنعم الله تعالــى بهما على الإنسان لا بدّ من أن تكونا تحت سيطــرة العقل الّــذي أدرك لزوم طاعة الله، واتّباع الرسالــة الإلهيّة. وما لم تكن كذلك فإنّ هذه القدم ستورد صاحبها النار أو تعرّضه لسخط الجبّار.
- مــن الأمور الّتي ينبغي تنزيــه القدم عنها: المشي في خدمــة الظَّلَمة، المشي لأصحاب البدع.
- من الأمور الّتي ينبغي المشي فيها: المشي إلى المساجد، المشي في الجنائز، المشي في قضاء حوائج المؤمنين، المشي إلى زيارة المراقد المطهّرة.

أســـــئـــلـــة

١- ما هي الأمور الّتي ينبغي تنزيه القدم عنها؟

٢- اذكر بعض الأمثلة عن المشي العباديّ.

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، ج٨، ص٢٥١.

اليقظة من الغفلة

من مواعظ الإمام الخميني قدس سره في كتاب «الأربعون حديثاً»:

اعلم إذاً، أيّها العزيز، أنّ أمامك رحلة خطرة لا مناص لك منها، وأنّ ما يلزمها من عدّة وعدد وزاد وراحلة هو العلم والعمل الصالح. وهي رحلة ليس لها موعد معيّن، فقد يكون الوقت ضيّقاً جدّاً، فتفوتك الفرصة. إن الإنسان لا يعلم متى يُقرَع ناقوس الرحيل للانطلاق فوراً. إنّ طول الأمل المعشعش عندي وعندك الناجم من حبّ النفس ومكائد الشيطان الملعون ومغرياته، تمنعنا من الاهتمام بعالم الآخرة ومن القيام بما يجب علينا. وإذا كانت هناك مخاطر وعوائق في الطريق، فلا نسعى لإزالتها بالتوبة والإنابة والرجوع إلى طريق الله، ولا نعمل على تهيئة زاد وراحلة، حتّى إذا ما أزف الوعد الموعود اضطررنا إلى الرحيل دون زاد ولا راحلة، ومن دون العمل الصالح، والعلم النافع، اللّذين تدور عليهما مؤونة ذلك العالم، ولم نهيّىء لأنفسنا شيئاً منهما. حتّى لو كنا قد عملنا عملاً صالحاً، فإنّه لم يكن خالصاً بل مشوباً بالغشّ، ومع آلاف من موانع القبول وإذا كنّا قد نلنا بعض العلم، فقد كان علماً بلا نتيجة وهذا العلم إمّا أنْ يكون لغواً وباطلاً، وإمّا أنّه من الموانع الكبيرة في طريق الآخرة. ولو كان ذلك العلم والعمل صالحين، لكان لهما تأثير حتميّ وواضح فينا نحن الّذين صرفنا عليهما سنوات طوالاً، ولغيّرا من أخلاقنا وحالاتنا. فما الّذي حصل حتّى كان لعملنا وعلمنا مدّة أربعين أو خمسين سنة تأثير معكوس بحيث أصبحت قلوبنا أصلب من الصخر القاسي؟ ما الذي جنيناه من الصلاة الّتي هي معراج المؤمنين؟ أين ذلك الخوف وتلك الخشية الملازمة للعلم؟ لو أنّنا أجبرنا على الرحيل

ونحن على هذه الحال – لا سمح الله – لكان علينا أن نتحمّل الكثير من الحسرات والخسائر العظيمة في الطريق، ممّا لا يمكن إزالته!.

إذاً، فنسيان الآخرة من الأمور الّتي يخافها علينا وليّ الله الأعظم، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويخاف علينا من الباعث لهذا النسيان وهو طول الأمل؛ لأنّه يعرف مدى خطورة هذه الرحلة، ويعلم ماذا يجري على الإنسان الّذي يجب أن لا يهدأ لحظة واحدة عن التهيُّؤ وإعداد الزاد والراحلة؛ عندما ينسى العالم الآخر، ويستهويه النوم والغفلة من دون أنّ يعلم أن هناك عالماً آخر، وأنّ عليه أن يسير إليه حثيثاً. وماذا سيحصل له وما هي المشاكل الّتي يواجهها؟

يحسن بنا أن نفكّر قليلاً في سيرة أمير المؤمنين والنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وهما من أشرف خلق الله ومن المعصومين عن الخطأ والنسيان والزلل والطغيان، لكي نقارن بين حالنا وحالهما. إنّ معرفتهما بطول السفر ومخاطره قد سلبت الراحة منهما، وإنّ جهلنا أوجد النسيان والغفلة فينا.

إنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم قد روّض نفسه كثيراً في عبادة الله، وقام على قدميه في طاعة الله حتّى ورمت رجلاه، فنزلت الآية الكريمة تقول له: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[1]. وعبادات عليّ عليه السلام وتهجّده وخوفه من الحقّ المتعال معروفة للجميع.

إذاً، اعلم أنّ الرحلة كثيرة المخاطر، وإنّما هذا النسيان الموجود فينا ليس إلاّ من مكائد النفس والشيطان، وما هذه الآمال الطوال إلاّ من أحابيل إبليس ومكائده. فتيقّظ أيّها النائم من هذا السبات وتنبّه، واعلم أنّك مسافر ولك مقصد، وهو عالم آخر، وأنّك راحل عن هذه الدنيا، شئت أم أبيت. فإذا تهيّأت للرحيل بالزاد والراحلة لم يصبك شيء من عناء السفر، ولم تُصَبّ بالتعاسة

(١) سورة طه، الآية:٢.

فـي طريقـك، وإلاّ أصبحت فقيراً مسكيناً سائراً نحو شقـاء لا سعادة فيه، وذلّة لا عـزّة فيهـا وفقر لا غنى معـه وعذاب لا راحة منـه. إنّها النـار الّتي لا تنطفئ والضغـط الّـذي لا يخفّف، والحزن الّذي لا يتبعه سـرور، والندامة الّتي لا تنتهي أبداً.

الدرس السادس عشر

الحُضور في مواضع التهم

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب خطورة الحُضور في مواضع التهم.
- أن يتعرّف إلى آثار الحُضور في مواضع التهم.
- أن يتعرّف إلى بعض من مصاديق مواضع التهم.

تمهيد

إذا كانت المستحبّات سياجاً للواجبات، بحيث إنّ الإنسان المؤمن إذا حافظ عليها، وأتى بها مهتمّاً بالقيام بما استطاع منها، فإنّه بطريق أولى لن يقصّر في أداء الواجبات، كذلك فإنّ المكروهات سياج المحرّمات، وبالتالي إذا هتك الإنسان المؤمن ستر المكروه، ولم يبالِ بفعله فلربّما تزلّ قدمه أحياناً، فيبادر إلى ارتكاب بعض المحرّمات.

ومن المسائل الخطيرة والابتلائيّة عند بعض المؤمنين، كما هو مشاهد في زماننا الحاضر، حضورُهم ووضع أنفسهم في مواضع وأماكن وحالات لا ينبغي لهم الحضور فيها، تارةً من ناحية شخصيّة، وأخرى بما يحمله من عنوانٍ ومسؤوليّة، وقد عبّرت الروايات الشريفة عنها بمواضع التهمة، وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام بقوله: «**إيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء**»[1]، وربّما يعود السبب في توقّي مواضع الشبهة والتهمة إلى أمور منها:

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٢، ص٣٧.

١- الانجرار للمعصية:

إنّ هـذه الأماكن قد تدفع هـذا الإنسان، بسبب وجـود الشبهات والمحرّمات أحياناً، إلى الوقوع فيما لا يُحمد عقباه، وبالتالي فلا يلومنّ إلّا نفسه.

٢- اتهامه بالمعصية:

أنّها مدعاة لاتهامه من قبل من يراه وشيوع ذلك بين الناس، وحينئذٍ لن ينفع التسويغ والاعتذار.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**اتقوا مواقف الريب، ولا يقض أحدكم مع أمّه في الطريق؛ فإنّه ليس كلّ أحد يعرفها**»[١].

وما ذلـك إلّا لدفع التهمة والقيـل والقال، فيرحم نفسـه ويرحم غيره، بعدم استغابته والإساءة إليه وفضحه.

وفـي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من كان يؤمـن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهمة**»[٢].

٣- سوء الظنّ به:

إنّ هـذا الحضور سيؤدّي إلى إساءة الظّن به، ولـو من الناحية القلبيّة فقط، من دون أن يبرز إلى الخارج بالكلام، ولا سيّما الغِيبة وغيرها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به**»[٣].

وهنا لا بدّ من الإشارة، إلى أنّ الإنسان المؤمن العاقل، لا بدّ له من أن يصبغ

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٢، ص٣٧.
(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٨، ص٣٤٠.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٢، ص٣٧.

كلّ أفعاله وأعماله بالصبغة الإلهيّة، أي أن تكون كلّ أحواله الظاهريّة والباطنيّة، موافقــة للشرع المقدّس، وما أمر به اللّه عزّ وجلّ ورسوله وأولي الأمر سلام اللّه عليهم.

وبعبارة أخرى أن تكون أفعاله نابعة من التقوى، الّتي تحمي الإنسان وتحصّنه مــن الوقوع في الشبهــات؛ لأنّه إذا نظر من منظار التقوى، فسوف يقيس كلّ فعلٍ أو عملٍ ينوي القيام به بميزان رضا اللّه وغضبه، ومن ثَمَّ يقدم أو لا يقدم عليه.

عــن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المَثلات حجزتــه التقوى عن تقحّــم الشبهــات**»[1]، والشرط الأساس لحصول مثل هــذه التقوى، هو التفقّه في الدين، وتعلّم أحــكام الحلال والحرام، وسلوك طريق الإحتياط، فإنّ به النجاة.

مواضع التهمة

نشيــر ههنا إلى بعض مواضع التهمة الّتي ينبغي الحذر منها أو الدخول فيها، وهي

١ - الأماكن المحرّمة:

وهــي من أوضح مصاديق التهمة لــلأخ المؤمن إذا وُجد فيها، كنوادي السهر وأماكن الدعارة والمسابح المختلطة، الّتي لا يُتورّع فيها عن ارتكاب الحرام...

٢ - الأماكن المختلطة:

كالأعراس الّتي لا يُراعى فيها حرمة الاستماع إلى الغناء، والموسيقى، والنظر المحرّم.

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤٧.

٣- الجلوس في الطرقات:

وهي من العادات القبيحة عند بعض الأفراد، وقد تلازم النظر المحرّم إلى الفتيات، وتسبّب الحرج لبعض الأخوات بالمرور من ذلك الطريق.

وقد نهانا أهل البيت عليهم السلام عن الجلوس في الطرقات، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قبيل وفاته أنّه قال عليه السلام: «**إيّاك والجلوس في الطرقات**»[١].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأصحابه: «**إيّاكم والجلوس في الطرقات، فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ؛ نتحدّث فيها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أبيتم إلّا المجلس فأعطوا الطريق حقّها.**

قالوا: وما حقّ الطريق يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...**»[٢].

٤- زيارة الأشخاص المشبوهين:

الّذين تدور حولهم بعض علامات الاستفهام، لا سيّما مع انفلات الوضع الأمنيّ ووجود شبكات العملاء والمخبرين.

٥- صحبة الأشرار والفسّاق:

ولا سيّما شارب الخمر ومتعاطي المخدّرات.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**صحبة الأشرار تكسب الشرّ، كالريح إذا مرّت بالنتن حملت نتناً**»[٣].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٢، ص٤٦٥.
(٢) نيل الأوطار، ج٦، ص٥٩.
(٣) غرر الحكم، الآمدي، ص٤٣١.

وعـن الإمـام الصـادق عليه السلام قـال: «**لا تصحـب الفاجـر فإنّـه يعلّمك من فجوره**»[1].

الخلوة بالأجنبيّة

مـن أوضـح المصاديق البـارزة لمواضـع التهمة وجلـب إساءة الظـنّ بالأخ المؤمن، وما يؤدّي به للوقوع بالحرام أمران:

أ- الخلوة بالأجنبيّة:

أي الجلوس مع إمرأة محرّمة عليه في مكان مشبـوه، وقد ورد النهي المؤكّد عـن ذلك فـي أقوال الأئمة عليهم السلام والعلمـاء، لما في ذلك مـن المفاسد ولا أقلّها النظر المحرّم وفوران الشهوة والتلذّذ.

ففي دعائم الإسلام: «**عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه نهى عن محادثة النساء يعني** غيـر ذوات الأرحام وقال: «**لا يخلونّ رجل بإمرأة، فما من رجلٍ خلا بإمرأة إلّا كان الشيطان ثالثهما**».

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «**حديث النساء من مصائد الشيطان**».

ب- العقد على المشهورة بالزنا:

وهـذه من المصائب الّتي قد يُبتلَى بها البعض، ولها مفاسد أخلاقيّة وصحيّة واجتماعيّة.

إذ إنّ بعض الشباب يسعى وراء شهوته فيفتّش عن هذه وتلك، ويسأل عن هذه وتلـك، فيقع في النظر المحـرّم والسؤال المحرّم المستتبع للأذى. وقد تصل به الحـال إلى إرضاء شهوته مع أوسخ النسـاء وأحقرهنّ وأرذلهنّ، وهي المشهورة

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧١، ص١٩١.

بالزنـا. وقد يؤدّي به إلى الوقوع في الزنـا المحرّم والعياذ بالله، وهذا ما يسيء إلى المذهب وإلى الخطّ والنهج. سيّما إذا كان هذا الإنسان المؤمن يشكّل رمزاً أو شعـاراً للخـطّ أو للمذهب، أو يحمـل مسؤوليّة، وبذلك يسـيء إلى أهل البيت عليهم السلام ويجلب لهم الشنعة، والعياذ بالله.

خـلاصـة الـدرس

- إنّ من صفات المؤمن عدم وضع نفسه في مواضع الشبهة والتهمة وما شابه.
- لقد نبّه الإسلام العزيز إلى تجنّب مواضع الشبهة والتهمة، وذلك لعدّة أسباب:
  أ- إنّ مثل هذه المواضع قد يدفع بالإنسان للوقوع في الحرمة والمنكر.
  ب- تكـوّن انطباعاً سيّئاً عند الناس حول حضـور الإنسان في هكذا مواضع، فضلاً عن إساءة الظنّ به.
- مـن مصاديق مواضـع التهمة والشبهـة، أماكن ارتكاب المحرّمـات والمنكر وعدم مراعاة الضوابـط الشرعيّة، فضلاً عن الجلوس في الطرقات وصحبة الأشرار، ومن أبرزها الخلوة بالأجنبيّة.

أسـئـلـة

١- بيّن خطورة الجلوس في مواضع التهم.
٢- عدّد بعضاً من مصاديق مواضع التهم.
٣- عدّد بعضاً من مصاديق آثار الحضور في مواضع التهم.

الزهد في الدنيا

من خطبة لأمير المؤمنين يعظ فيها ويزهّد في الدنيا، قال عليه السلام: «**نحمده على ما أخذ وأعطى وعلى ما أبلى وابتلى. الباطن لكلّ خفيّة، والحاضر لكلّ سريرة، العالم بما تكنّ الصدور وما تخون العيون ونشهد أن لا إله غيره وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نجيبه وبعيثه. شهادةً يوافق فيها السّر الإعلانَ والقلب اللسانَ...**

فإنّه والله الجِدّ لا اللعب والحقّ لا الكذب، وما هو إلّا الموت أسمع داعيه وأعجل حاويه، فلا يغرنّك سواد الناس من نفسك، وقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال، وحذر الإقلال، وأمن العواقب، طول أمل واستبعاد أجل، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه محمولاً على أعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجالَ، حملاً على المناكب وإمساكاً بالأنامل، أما رأيتم الّذين يأملون بعيداً ويبنون مشيداً ويجمعون كثيراً كيف أصبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بوراً وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين، لا في حسنة فيزيدون، ولا من سيّئة يستعتبون. فمن أشعر التقوى قلبه برز مهله (أي التقدّم في الخير) **وفاز عمله، فاهتبلوا هبلها** (أي اطلبوا خيرها) **واعملوا للجنّة عملها، فإنّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار، فكونوا منها على أوفاز** (أي كونوا منها على استعجال) **وقرّبوا الظهور للزيال** (أي فراق الدنيا)»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٢، ص١٨٩.

الدرس السابع عشر

تهذيب الشهوة

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب خطر الشهوة.
- أن يُدرك أهميّة الزواج في السيطرة على الشهوة.
- أن يتعرّف إلى بعض المحرّمات الّتي قد تجرّنا الشهوة إليها.

أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان غريزة الشهوة نفعاً للعباد، إذ إنّه من خلال هذه الرغبة والغريزة يسعى الذكر والأنثى للزواج ومن ثَمَّ الإنجاب مساهمَيْن في ذلك باستمرار الوجود البشريّ على وجه الأرض، فلولا ما أودعه الله تعالى من الرغبة بين الذكر والأنثى لم نكن اليوم موجودين في هذه الحياة.

هذه الحكمة الّتي أرادها الله تعالى من خلق الغريزة لدى الإنسان، قد تنحرف لتذهب في جهة الإفراط أو التفريط، بينما أراد لها الله تعالى أن تكون نافعة دون إفراط أو تفريط.

كبت الشهوة

لقد ذهبت بعض الأديان الموجودة إلى قمع هذه الغريزة واعتبرتها أمراً ثانويّاً بحيث لو أمكن اجتنابُها عنها قدر الإمكان أو أمكن الاستغناء عنها بشكل كامل لكان ذلك أفضل، يقول «**بولس**» في أحد ردوده على أسئلة وردت إليه: «**أمّا بشأن ما كتبتموه لي فخير للرجل أن لا يلمس المرأة، ولكن تجنباً من الزنا على كلّ رجل أن يحتفظ بزوجته... لذا أقول للعزّاب والنساء الأرامل من الخير لهم أن يبقوا مثلي**»[1] أي أعزبَ طوال العمر. ويعلّق أحد الفلاسفة

(١) الأفكار والميول، الأستاذ تقي فلسفي ج٢، ص ١٦٩.

الغربيّين «**راسل**» على ذلك قائلاً: إنّ بولس لم يُشر إلى مسألة الأولاد وكأنّه غاب عن نظره الهدف البيولوجيّ من الزواج، ويعقّب قائلاً: «**لا يسعني القول إلّا أنّها إفرازات عقل مريض**»[١].

تحرير الشهوة

في المقابل ذهب بعض الفلاسفة إلى جهة النقيض، حيث حبَّذوا أن تُعطَى الحريّة الكاملة للإنسان في تلبية الغرائز لديه بدون أيّ رقابة أو منع حتّى لا يحصل هناك كبت أو أيّة عُقَد أخرى، بل اعتبرها بعضهم أمثال فرويد بأنّها أساس التمدّن والثقافة وجميع الأفكار الإنسانيّة، والتغيّرات الاجتماعيّة[٢].

الحلّ الوسط

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٣].

إنّ الدين الإسلاميّ العظيم الّذي وضعه اللّه تعالى ليوفّر السعادة للإنسان، تعاطى مع هذه الغريزة بالوسطيّة، حيث لم يذهب إلى كبتها كبتاً شديداً يولّد الإضرار بالفرد، ويخلق لديه ردّة فعل عكسيّة، كما حصل بعد انهيار الكنيسة في أوروبا، وكذلك لم يحرّر الإنسان من كلّ القيود، كما ذهب إلى ذلك فرويد وأتباعه، بل سلك المنهج الوسط، فدعا إلى تلبية ندائها من خلال الزواج الشرعيّ الّذي يُعتبر الإطار الطبيعيّ لتلبية الرغبات الإنسانيّة، ففي الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ: «**النكاح من سنّتي، فمن رغب عنه فقد رغب عن سنّتي**»[٤].

(١) الأفكار والميول، الأستاذ تقي فلسفي، ج٢، ص ١٦٩.
(٢) م. ن، ج٢، ص١٧٥.
(٣) سورة البقرة، الآية:١٤٣.
(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ج١٤، ص١٥٣.

وعنه ﷺ أيضاً: «**ما بني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج**»[1].

وقد أكّد الرسول الأكرم ﷺ نبيّ الإسلام وخاتم الأنبياء عليهم السلام على الزواج وخاصّة جيل الشباب؛ لأنّه في هذا العمر أي عمر الشباب تكون الغريزة في أعلى مستوياتها، فالتحصين بالزواج الشرعيّ يعصم الشباب من الوقوع في الزلل ويمنعهم من سلوك دروب الانحراف، فعن الرسول الأكرم ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم، فإنّ الصوم له وجاء**»[2].

ما وراء الزواج

إنّ تهذيب النفس يبدأ بتهذيب الجوارح، وبالتالي الغرائز الّتي تقف من ورائها، وقد حصر الإسلام السبيل لإفراغ هذه الغريزة، عبر الحياة الزوجيّة بالشروط الشرعيّة، واعتبر كلّ علاقة أو عمل آخر من خارج هذا الإطار عملاً محرّماً يُعاقب الله تعالى عليه، ومن الأمور الّتي أكّد الإسلام على تحريمها:

أ- الزنا:

يقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

لقد شدّد الإسلام على حرمة الزنا، وهذا ما يتجلّى في الآية الكريمة الّتي أمرت أن يعاقب مرتكب هذه الفاحشة أمام الناس بالجلد، لكي يحصل الاعتبار وينتهي الناس عن هذه الرذيلة الّتي تُضيّع الأنساب وتزرع الفساد في المجتمعات، ففي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**حُرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل**

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ج١٤، ص١٥٣.
(٢) م.ن.
(٣) سورة النور، الآية:٢.

الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إيّاكم والزنا فإنّ فيه ستّ خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأمّا اللواتي في الدنيا، فيذهب بالبهاء ويقطع الرزق الحلال ويعجّل الفناء إلى النار، وأمّا اللواتي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمان والخلود في النار»**[٢].

كما أنّ الزنا من أكبر الكبائر كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ...﴾[٣]، قال: «**معصية ﴿وَمَقْتًا﴾ فإنّ الله يمقته ويبغضه، قال: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ هو أشدّ الناس عذاباً، والزنا من أكبر الكبائر»**[٤].

ب- العلاقة بين المثليّين:

فقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي من عمل قوم لوط»**[٥].

وقد أمر الله تعالى أن يُعاقب فاعل هذا العمل في الدنيا بعذاب شديد ففي الرواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لشخص أراد أن يُقيم عليه الحدّ: **«يا هذا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكم في مثلك بثلاثة أشياء فاختر أيّهنّ شئت، قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ضربة بالسيف في عنقك بالغة ما بلغت، أو دهداه من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنار»**[٦].

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٧٩.
(٢) م. ن.
(٣) سورة الإسراء، الآية:٣٢.
(٤) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج٤، ص١١٦٠.
(٥) م. ن، ج٤، ص٢٨٠٦.
(٦) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ج٤١، ص٣٧٦.

وفي رواية أنّ إحدى النساء سألت الإمام الصادق عليه السلام: أخبرني عن اللّواتي مـع اللّواتي، ما حـدّ ما هنّ فيه؟ قال عليه السلام: «**حـدّ الزانيـة، إذا كان يوم القيامة يؤتـى بهـنَّ قد أُلبسن مقطّعات من النـار، وقُنّعن بمقانع من نار، وسُربلن من نـار، وأُدخـل في أجوافهـنّ إلى رؤوسهـنّ أعمدة من نار، وقُذف بهـنَّ في النار، أيّتهـا المـرأة! أوّل من عمل هذا العمل قوم لـوط، فاستغنى الرجال بالرجال، وبقي النساء بغير رجال، ففعلن كما فعل رجالهنّ**»[1].

ج- الإشباع الذاتيّ:

أي أن يُشبـع الإنسـان رغبـة الغريـزة مـن دون العلاقة بالطـرف الآخر وهو المسمّى بالاستمناء، وقد حرّم الإسلام هذا النوع من العمل بكلّ أشكاله وصوره، ففـي الرواية أنّ الإمام الصـادق عليه السلام سُئل، عن الخضخضة فقال: «**إثمٌ عظيم قـد نهـى الله تعالى عنه في كتابـه.... ولو علمت من يفعل مـا أكلت معه، فقال السائل: فبيّن لي يا بن رسول الله، من كتاب الله نهيه**»، فقال: قول الله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[2] وهو ما وراء ذلك، فقال الرجل: أيّهما أكبر الزنا أو هي؟ قال: «**ذنب عظيم. ثمّ قال للقائل: بعض الذنوب أهون من بعض، والذنوب كلّها عظيمة عند الله لأنّها معاص**»[3]...

العلاج

لقـد أرشدنا الأئمّة عليهم السلام إلى حلّ لمن لا يقـدر على الزواج لكي يخفّف من الضغـط الحاصل لـه إزاء فوران هذه الغريزة، وذلك مـن خلال نفي الأسباب الّتـي تـؤدّي إلـى ثورانها وذلك ضِمْـنَ عدّة أمـور ذكرها الإمـام السجّاد زين

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٥٥٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية:٧.
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ج١٤، ص٣٥٥.

العابديـن عليه السلام في رسالة الحقوق فقال: «... **والاستعانة عليه بغضّ البصر، فإنّه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدّد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوّة إلّا به**»[1].

فذكـر الموت يزهّـد الإنسان فـي الدنيـا ويجعلها أمـراً تافهاً في نظـره، وأمّا التخويـف فلأنّه يجعل في قلـب الإنسان منبّهاً إلى العاقبة الّتـي تنتظره لو اقترف الفعـل الخاطىء، والدعـاء إلى الله تعالى بأن يرفع الهـمّ، فالاعتصام بالله تعالى وطلـب العـون منه يجعـلان الإرادة لـدى الإنسـان السالـك إلى الله تعالـى إرادة حديديّـة؛ لأنّ الله يعطيـه بالدعاء توفيقاً خفيّاً وقوّة لـم يشعر بها من قبل، وبذلك يعصم النفس الأمّارة من الانقياد وراء الشهوات بتوفيق الله تعالى وسعيه لطاعته.

خلاصة الدرس

- خلـق الله تعالى فـي الإنسان غريزة الشهـوة الّتي أودعهـا الله تعالى لحكمته ولنفـع العبـاد، إذ إنّه من خلال هـذه الرغبة والغريزة يسعـى الذكر والأنثى للـزواج ومن ثَمَّ الإنجاب مساهمين في ذلك باستمـرار الوجود البشريّ على وجه الأرض.
- لقد ذهبت بعض الأديان الموجودة إلى قمع هذه الغريزة واعتبرتها أمراً ثانويّاً بحيـث إنّهم اعتبروا لو أمكـن الاجتناب عنها قدر الإمكان أو أمكن الاستغناء عنها بشكل كامل لكان ذلك أفضل.
- فـي المقابل ذهب بعضـ الفلاسفة إلى جهة النقيض، حيـث حبَّذوا أن تُعطَى الحرية الكاملة للإنسان في تلبية الغرائز لديه بدون أيّة رقابة أو منع.
- سلك الدين الإسلاميّ المنهج الوسط فدعا إلى تلبية ندائها من خلال الزواج

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ج١٤، ص١٥٧.

الشرعيّ الّذي يعتبر الإطار الطبيعيّ لتلبية الرغبات الإنسانيّة.

- إنّ تهذيب النفس يبدأ بتهذيب الجوارح وبالتالي الغرائز الّتي تقف من ورائها، وقد حصر الإسلام السبيل لإفراغ هذه الغريزة، عبر الحياة الزوجيّة بالشروط الشرعيّة، واعتبر كلّ علاقة أو عمل آخر من خارج هذا الإطار عملاً محرّماً يعاقب الله تعالى عليه، ومن الأمور الّتي أكّد الإسلام على تحريمها:

١- الزنا.

٢- علاقة المثليّين.

٣- الإشباع الذاتيّ.

- لقد أرشدنا الأئمّة عليهم السلام إلى حلّ لمن لا يقدر على الزواج لكي يخفّف من الضغط الحاصل له إزاء فوران هذه الغريزة، وذلك من خلال نفي الأسباب الّتي تؤدّي إلى ثورانها.

أسئلة

١- ما هو الهدف الإلهيّ لخلق الشهوة في الإنسان؟

٢- ما هي نظرة بولس إلى الزواج، وكيف تردّ عليها؟

٣- ما هي نظرة فرويد إلى الشهوة، وكيف نردّ عليه؟

٤- أوضح النظرة الإسلاميّة الوسطيّة لإشباع الرغبات.

٥- كيف يحدّ الإنسان المسلم من فوران الغريزة؟

حقيقة التوحيد

من مواعظ الإمام الخمينيّ قدس سره في كتاب «الأربعون حديثا»:

يا من تدّعي الإيمان وخضوع القلب في حضرة الله ذي الجلال، إذا كنت تؤمن بكلمة التوحيد، ولا يعبد قلبك غير الواحد، ولا يطلب غيره، ولا ترى الألوهيّة تُستحقّ إلاّ لذاته المقدّسة، وإذا كان ظاهرك وباطنك يتّفقان فيما تدّعي، فلماذا نجدك وقد خضع قلبك لأهل الدنيا كلّ هذا الخضوع؟ لماذا تعبدهم؟ أليس ذلك لأنّك ترى لهم تأثيراً في هذا العالم، وترى أنّ إرادتهم هي النافذة، وترى أنّ المال والقوّة هما الطاقة المؤثّرة والفاعلة؟ وأنّ ما لا تراه فاعلاً في هذا العالم هو إرادة الحقّ تعالى، فتخضع لجميع الأسباب الظاهريّة، وتغفل عن المؤثّر الحقيقيّ وعن مسبّب جميع الأسباب؟ ومع كلّ ذلك تدّعي الإيمان بكلمة التوحيد. إذاً، فأنت أيضاً خارج عن زمرة المؤمنين، وداخل في زمرة المنافقين ومحشور مع أصحاب اللسانَيْن.

وأنت يا من تدّعي الزهد والإخلاص، إذا كنت مخلصاً حقّاً، وأنّك لأجل الله ولأجل دار كرامته تزهد عن مشتهيات الدنيا، فما الذي يحملك على أن تفرح بمدح الناس لك والثناء عليك بقولهم إنّك من أهل الصلاح والسداد؟ فيملأ السرور قلبك، ولماذا لا تبخل بشيء في سبيل مجالسة أهل الدنيا وفي سبيل زخارفها، وتفرّ من الفقراء والمساكين؟

فاعلم أنّ زهدك وإخلاصك ليسا حقيقيّين، بل إنّ زهدك في الدنيا هو من أجل الدنيا، وإنّ قلبك ليس خالصاً لوجه الله، وإنّك كاذب في دعواك، وإنّك من المتلوّنين المنافقين...

وأنــت يا من تدّعي امتــلاك الحكمة الإلهيّة، والعلم بحقائــق المبدأ والمعاد، إذا كنــتَ عالماً بالحقائق في الأسباب والمسبّبات، وإذا كنت حقّاً عالماً بالصور البرزخيّة وأحوال الجنّة والنار، فلا بُدّ من أن لا يقرّ لك قرار، وعليك أن تصرف كلّ وقتك في إعمار عالم البقاء، وأن تهرب من هذه الدنيا ومغرياتها، فأنت عالم بمــا هنالك من مصائب وظلام وعذاب لا يُطــاق. إذاً، لماذا لا تتقدّم ولو خطوة واحــدة خارج حجب الكلمات والألفــاظ والمفاهيم، ولم تؤثّر في قلبك البراهين الفلسفيّــة قــدر جنــاح ذبابــة؟ إذاً، أنت خارج عن زمــرة المؤمنيــن والحكماء، ومحشــور في زمرة المنافقين، وويل للّــذي يقضي عمره وسعيه في علوم ما وراء الطبيعــة، دون أن يسمح لــه انتشاؤه بخمر الطبيعة ولو بدخول حقيقة واحدة إلى قلبه.

وأنــت يا من تدّعــي المعرفة والانجذاب والسلوك والمحبّــة والفناء، إذا كنت حقّــاً من أهل الله ومن أصحاب القلوب، ومن ذوي السابقة الحسنة، فهنيئاً لك. ولكــنّ كلّ هذه الشطحات وهذا التلوّن وتلك الادّعــاءات اللّامسؤولة الّتي تكشف عن حبّ الــذات ووسوسة الشيطان، تتعارض مع المحبّة والانجذاب «**إنّ أَوْلِيَائِي تَحْتَ قِبَابِي لاَ يَعْرِفُهُمْ غَيْرِي**». فأنت إذا كنــت من أولياء الله المنجذبين إليه ومحبّيــه، فــإنّ الله يعلم بذلك، فلا تظهــر للناس مدى مقامــك ومنزلتك بهذه الصــورة، ولا تسعَ لتلفت قلــوب عباد الله الضعيفة من وجهــة خالقها إلى وجهة المخلوق ولا تغتصب بيت الله. واعلم أنّ عباد الله أعزّاء وقلوبهم ثمينة ويجب أن تشتغل في محبّة الله، فلا تتلاعب إلى هذا الحدّ ببيت الله، ولا تتعرّض لحرماته «**فَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبّاً**» فــإذا لم تكن صادقاً في دعاواك، فأنــت في زمرة أهل النفاق ومن ذوي الوجهين.

الدرس الثامن عشر

دواء القلوب

أهداف الدرس

- أن يتبيّن الطالب كيفيّة العلاج من الأمراض القلبيّة.
- أن يتعرّف إلى جملة من أدوية القلب.

تمهيد

بعـد أن تعرّفنا على بعض من أمراض الذنـوب وآثارها المهلكة، لا بدّ من أن نتعـرّف أيضـاً على الدواء والعلاج المناسب لها؛ لأنّ لـكلّ داء دواء، كما ورد في الخبر، لكنّ الأهمّ من معرفة الداء هو معرفة الدواء وكيفيّة العلاج، وقد أرشدنا الله عزّ وجلّ في محكم كتابه وكذلك أهل البيت عليهم السلام في الروايات الشريفة إلى ذلك، وما علينا إلّا وضع الأمور في مواضعها والاستفادة منها.

ومقدّمـة لا بدّ للإنسـان من أنْ يعرف أنّ لـه بُعداً ماديّاً وهـو الجسم، وبعداً معنويّـاً وهو الـروح، وكما يهتمّ كلّ واحـد منّا بجسمه فإنّ عليـه أن يهتمّ بروحه أيضاً؛ لأنّ كلّاً منهما له حقّ لا بدّ من أدائه.

لذا، وكما تهتمّ بصحّتـك وأكلك وشربك، وتسعى جاهداً من أجل المحافظة علـى جسمك، فتسارع إلى مداواته عند المرض وحلـول السقم خوفاً من الموت والهلاك، كذلك لا بدّ - وبطريق أولى - من الاهتمام بقلبك وروحك، وغذائهما، لئلّا تمرض أيضاً، فيقسو قلبك ويختم عليه، فتعجز حينئذٍ عن علاجه، وبالتالي يؤدّي إلى الهلاك الدنيويّ والأخرويّ.

ويا للعجب! من أقوامٍ يهتمّون بأبدانهم، وهذه الأبدان زائلة فانية يأكلها الدود

وتصبح رميماً وتراباً، ولا يهتمّون بأرواحهم الخالدة الباقية، إمّا في الجنّة أو في النار.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى، كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار!**»[1].

كيف نعالج أمراضنا الأخلاقيّة؟

لنفترض أنّنا أصبنا بأيّ مرضٍ أخلاقيّ، كالكذب والغيبة والسرقة وغيرها.

فالخطوة الأولى: في طريق العلاج والشفاء، هي التشخيص الصحيح لنوع المرض، ومدى تجذّره في قلوبنا.

الثانية: لا بدّ من معرفة سبب المرض؛ لأنّ العلاج قد يكون بعلاج السَّبب فيزول المسبَّب عنه. مثلاً لماذا أكذب؟ هل هو لنقصٍ في شخصيّتي، أم لأجل مصلحة دنيويّة أم لأجل؟.. الخ. ولماذا أغتاب؟ ولماذا أسرق؟...

الثالثة: استعمال الدواء بشكل صحيح ومتابعة العلاج.

والرابعة: التفقّه في الدين، والمراد منه ها هنا اطّلاع الإنسان على خطورة الذنب وآثاره الدنيويّة والأخرويّة. فإذا التفت إلى خطورة الكذب مثلاً، وأنّه باب الكبائر، وأنّه ينسلخ عن الإيمان حين كذبه، وأنّه سيعاقب عليه، فأيّ عاقلٍ سيقدم بعدها على الكذب، والعياذ بالله؟!

علاج آخر للذنوب

وهذا العلاج ينقسم إلى شقّين: أحدهما العلاج العلميّ، والثاني هو العلاج العمليّ.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٥، ص٤٦.

أ- العلاج العلميّ

وقـد نصطلح عليه بالعـلاج النفسيّ ويقـوم على عدّة أمـور: التفكّر والتذكّر والعزم.

١- التفكّر:

يقـول الإمام الخمينـيّ قدس سره في هذا المجال: «**والتفكّر في هـذا المقام، هو أن يفكّـر الإنسان بعض الوقت، في أنّ مولاه الّذي خَلقه في هذه الدنيا، وهيّأ لـه كلّ أسباب الدعـة والراحة، ووهبه جسماً سليمـاً... ومن جهة أخرى أرسل جميـع هـؤلاء الأنبيـاء عليهم السلام، وأنـزل كلّ الكتـب والرسالات... فما هـو واجبنا تجاه هذا المولى مالك الملوك؟..**

هل إنّ وجود جميع هذه النعم هو فقط لأجل هذه الحياة الحيوانيّة وإشباع الشهـوات؟.. أم أنّ هنـاك هدفـاً وغايـة أخـرى؟.. إنّ الإنسـان إذا فكّـر للحظة واحدة عرف أنّ الهدف من هذه النعم هو شيء آخر، وأنّ الغاية من هذا الخلق أسمى وأعظم، وأنّ هذه الحياة الحيوانيّة ليست هي الغاية بحدّ ذاتها»[1].

وبعبـارة أخـرى لا بدّ مـن أن تجلس مع نفسـك، تتأمّل فـي وضعك وحياتك، ودنيـاك وآخرتك، وأن تقوم بجردة حسابيّة لمسير حياتك: أين كنت؟، وإلى أين أسيـر؟، وكيـف أسير؟، هل أنا راض عن حياتي وعلاقتـي بربّي؟، وهل أنا أسير من الحسن إلى الأحسن أم إلى الأسوأ؟، هل أنا إن متُّ الآن إلى الجنّة أذهب، أم إلى النار الّتي سجّرها جبّارها لغضبه؟، كلّ هذه الأسئلة سوف تؤدّي إلى جوابٍ، يدعو هذا الإنسان إلى الاستئناف، وإعادة فتح حسابٍ جديدٍ مع ربّه وخالقه.

عـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**رحم الله امـرأً نظر فتفكّر، وتفكّر فاعتبر،**

(١) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٢٣.

واعتبر فأبصر، وأبصر فأقصر، فقد أبصر أقوام ولم يُقصِروا، ثمّ هلكوا فلم يدركوا ما طلبوا، ولا رجعوا إلى ما فارقوا...»[1].

٢- العزم:

والمراد به ها هنا هو **«أن يوطّن الإنسان نفسه، ويتّخذ قراراً بترك المعاصي وبأداء الواجبات، وتدارك ما فاته في أيّام حياته»**[2].

وبعبارة ثانية: لا بدّ لك من أن تقرّر وتريد السير نحو الله وإطاعته، وترك إطاعة الشيطان، والسعي في سبيل ذلك والتحرّك إليه، ببدء المسير من يومك هذا؛ لأنّ الغدَ قد لا يأتي.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«إنّما الدنيا ثلاثة أيّام: فيومٌ مضى بما فيه فليس بعائد، ويومٌ أنت فيه يحقّ عليك اغتنامه، ويوم لا تدري هل أنت من أهله ولعلك راحلٌ فيه... وإن يك يومك هذا آنسك بقدومه، فقد كان طويل الغيبة عنك، وهو سريع الرحلة عنك، فتزوّد منه وأحسن وداعه، خذ بالبقيّة في العمل وإيّاك والاغترار بالأمل...»**[3].

٣- التذكّر:

أ- تذكّر خَلقنا ووجودنا، والنعم الّتي أنعمها الله علينا فيما نستعملها.

ب- تذكّر العقاب الدنيويّ، وحلول سخط الله علينا في أبداننا وأموالنا وأولادنا، وقلّة المطر ونقصان الرزق والعمر، وتسلّط الأشرار علينا...

ج- تذكّر العقاب الأخرويّ:

ووقوفنا بين يدي الله عزّ وجلّ وافتضاحنا، ودخول النار وأليم عذابها وشدّته

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج٥، ص١٤٧.
(٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٢٥.
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص١٤٩.

وطول مدّته...

د- الشعور بالرقابة الإلهيّة: يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، فإذا فكّر الإنسان وتيقّظ من غفلته، وعلم أنّ الله معه أينما كان، سواء في السرّ أو في العلن، في الليل أو في النهار، فلعلّه يستحي من اطّلاع ربّه عليه، ونظره إليه فيرعوي ويقلع عن ارتكاب ما يسخطه ويغضبه.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**العالم محضر الله، فلا تعص الله في محضر الله**».

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يا إسحاق** (أحد أصحاب الإمام عليه السلام) **خف الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**»[2].

وروي أنّ الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام جاءه رجلٌ فقال له: «**أنا رجل عاص ولا أصبر على المعصية، فعظني بموعظة، فقال** عليه السلام: **إفعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت:**

فأوّل ذلك: لا تأكل رزق الله، وأذنب ما شئت.

والثاني: أخرج من ولاية الله، وأذنب ما شئت.

والثالث: أطلب موضعاً لا يراك الله، وأذنب ما شئت.

والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك، وأذنب ما شئت.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص٦٧.

والخامس: إذا أدخلك مالكٌ في النار، فلا تدخل في النار، وأذنب ما شئت»[1].

ب - العلاج العمليّ:

وهذا العلاج ينقسم إلى علاج عامّ وعلاج خاصّ.

العلاج العامّ: هو لكلّ الذنوب والأمراض، وذلك بمعرفة سبب الابتلاء بها، والوقوع فيها، وهو إمّا الجهل أو الغفلة أو ضعف الإرادة، وحينئذ لا بدّ من المبادرة إلى رفع الجهل بالعلم والتفقّه، ورفع الغفلة بالاستيقاظ والتذكّر، وعلاج ضعف الإرادة أمام الشهوات بتقوية العزم وبذل الجهد في مقاومة الذنوب وتركها.

العلاج الخاصّ: وهو أن يبادر الإنسان عمليّاً إلى معالجة الذنب الّذي وقع فيه، فإذا التفت مثلاً إلى أنّه وقع في الغيبة، فيتوقّف ويستغفر ربّه، ويسعى للتحلّل من صاحبها، ويترك الغيبة مدّة من الزمن، ولا يجلس في مجلس الغيبة، ولا يشارك أحداً في غيبة ولو بسكوته، وليتعوّد على لجم لسانه والتفكير قبل كلامه..

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في كيفيّة علاج المفاسد الأخلاقيّة:

«ابحث عن العلاج واعثر على الدواء، لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة... وأفضل علاج... هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كلّ واحدة من الملكات القبيحة الّتي تراها في نفسك، وتنهض بعزم على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتتطلّبه منك تلك الملكة الرذيلة. وعلى أي حال اطلب التوفيق من الله تعالى لإعانتك في هذا الجهاد، ولا شكّ في أنّ الخُلُقَ القبيح سيزول بعد فترة وجيزة...»[2].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٥، ص١٢٦.

(٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص٣٩.

جلاء القلوب

مـن نعـم اللّه علينا بعد أن خلقنـا وابتلانا، وهو أعلم بما صنـع، وقد علم أنّ بعضنـا سيفسد في الأرض ويطغـى، فينحرف عن صراطـه المستقيم، فتنكّس القلـوب وتقسو وتمرض، أرشدنـا إلى الدواء في كتابه وعـن طريق رسوله وأهل بيته عليهم السلام، وسوف نشير ها هنا إلى جملة من أدوية القلب:

١ - ذكر اللّه:

يقول اللّه عزّ وجلّ في محكم كتابه الكريم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١].

ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «**يا أبا أسامة إرعوا قلوبكم بذكر اللّه عزّ وجلّ، واحذروا النكت**»[٢].

ومـن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام عند تلاوتـه: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[٣] قال: «**إنّ اللّه سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب**»[٤].

قال الشاعر الورّاق[٥]:

وإذا مرضتَ من الذنوب فداوها ... بالذكر إنّ الذكر خير دواء
والسقم في الأبدان ليس بضائرٍ ... والسقم في الأرواحِ شرّ بلاء

٢ - الاستغفار:

عـن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قـال: «**ألا أنبّئكم بدائكم مـن دوائكم؟: داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار**»[٦].

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٢) الكافي، الكليني، ج٨، ص١٦٧.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٦، ص٣٢٥.
(٥) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٨١.
(٦) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص١٢٣.

٣- قراءة القرآن:

وهو دواء وشفاء للقلوب والأبدان.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت**»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «**إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره...**»[٣].

٤- قلّة الأكل:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب وهيجان الشهوة**».

وقال عيسى روح الله عليه السلام: «**ما مرض قلب بأشدّ من القسوة**»[٤].

٥- استماع الموعظة:

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب**»[٥].

وقيل: «**الموعظة حرز من الخطأ، وأمنٌ من الأذى وجلاءٌ للقلوب من الصدأ**».

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٤٤.
(٣) م. ن، ص٣١.
(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٢، ص٩٤.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٤.

٦- الحديث:

عن النبيّ ﷺ قال: «**تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا؛ فإنّ الحديث جلاء القلوب**»[١].

٧- قيام الليل:

وعنه ﷺ قال: «**عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصالحين، وإنّ قيام الليل قربة إلى الله وتكفير السيّئات، ومنهاة عن الإثم ومطردة الداء عن أجسادكم...**»[٢].

خلاصة الدرس

- كما يهتمّ الإنسان بصحّته وطعامه ومشربه، والمسارعة إلى مداواة الأمراض الّتي يتعرّض لها جسده. كذلك لا بدّ وبطريق أولى، من أن يهتمّ الإنسان بغذاء الروح، وعلاج أمراض القلب المعنويّة.
- ينقسم علاج أمراض الروح والقلب إلى قسمين:

أ- العلاج النفسيّ، ويتضمّن ثلاث خطوات:

- التفكّر في عظمة مخلوقات الله.
- العزم على ترك المعاصي وأداء الواجبات.
- تذكّر العقاب الإلهيّ واستشعار رقابته لنا.

ب- العلاج العمليّ، ويتضمّن خطوتين:

- علاج عام لكلّ الذنوب والأمراض، كمعرفة أسباب ارتكابها جهلاً أو غفلة... الخ.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢، ص١٥٢.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٦، ص٣٣١.

-علاج خاصّ لكلّ ذنب، بشكل مستقلّ كعلاج ذنب الغِيبة فقط، وهكذا.

- وصفات تربويّة لعلاج أمراض القلوب:

- ذكر الله تعالى واستغفاره.

- قراءة القرآن الكريم.

- التقليل من الطعام والشراب والنوم.

- الاستماع للموعظة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

- أداء صلاة الليل، فهي دأب الصالحين.

أسئلة

١- تحدّث عن خطوات العلاج الأربع من الذنوب.

٢- تحدّث عن العلاج العلميّ (النفسيّ).

٣- تحدّث عن العلاج العمليّ بشقيه العامّ والخاصّ (باختصار).

صلاة الزهراء عليها السلام

قال رسول الله ﷺ: «**وأمّا ابنتي فاطمة فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي الّتي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النار**»[1].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٢٨، ص ٣٨.